مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 44 ـ العدد 8
1443 هـ – 2022 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب
رئيس جامعة البعث
المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	رئيس هيئة التحرير
أ. د. هايل الطالب	رئيس التحرير

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث
بشرى مصطفى

د. محمد هلال	عضو هيئة التحرير
د. فهد شريباتي	عضو هيئة التحرير
د. معن سلامة	عضو هيئة التحرير
د. جمال العلي	عضو هيئة التحرير
د. عباد كاسوحة	عضو هيئة التحرير
د. محمود عامر	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الحسن	عضو هيئة التحرير
د. سونيا عطية	عضو هيئة التحرير
د. ريم ديب	عضو هيئة التحرير
د. حسن مشرقي	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. نزار عبشي	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية ـ حمص ـ جامعة البعث ـ الإدارة المركزية ـ ص . ب (77)

ـ هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

ـ موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

ـ البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث , وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث - - ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة
2- هدف البحث
3- مواد وطرق البحث
4- النتائج ومناقشتها -
5- الاستنتاجات والتوصيات .
6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد- التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**

- عنوان البحث - - ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.

8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق B5 25×17.5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان - Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي - العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج ـ يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر, وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ ـ إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (-) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية ـ ثالثة) ـ بلد النشر وتتبعها فاصلة ـ عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

-MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب ـ إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة, اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
تصوير السكان المحليين في رواية "معبر الى الهند"	د. ابراهيم السماعيل هيام كاسوحه	48-11
التّناصّ البلاغيّ النّقديّ في نصّ عبد القاهر الجرجانيّ مفهوم (صورة المعنى) أنموذجاً	د. سهام صقر د. ناصيف ناصيف علا يوسف	76-49
التّقديم والتّأخير في نماذج من روميّات أبي فراس الحمدانيّ	ميساء شيخ خميس د. مصطفى نمر	108-77
دراسة تأثير فرق الرنين في مجموعات الأصوات الساكنة الإنكليزية في دقة أداء متعلمي اللغة الإنكليزية السوريين لهذه التراكيب	د. رياض طيفور لجين علوش	146-109

تصوير السكان المحليين في رواية "معبر الى الهند"

طالبة الدراسات العليا: هيام كاسوحه

قسم اللغة الانكليزية – كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة البعث

المشرف : د. ابراهيم السماعيل

ملخص

يهدف هذا البحث الى دراسة كيفية تصوير المستعمر البريطاني للسكان الهنود المحليين في رواية (معبر إلى الهند) تستكشف الرواية أبعاد العلاقة الاجتماعية بين المستعمر والبلاد المستعمرة. يوضح هذا البحث أيضا أن هذه الرواية نقد للإمبريالية التي تنشأ من إنجلترا إلى بيئات أجنبية وتنقل جوانبها السلبية مثل العنصرية والقسوة والاستغلال.

كلمات مفتاحية : السكان المحليين, معبر الى الهند , المستعمر – المستعمر والعنصرية.

The Representation of the Natives in A Passage to India

Abstract

This research aims to study how the British colonizer represents Indian natives in *A Passage to India*. The novel explores the dimensions of the colonizer-colonized relationship socially. This research also declares that this novel can be interpreted as a critique of Imperialism which emerges from England into foreign environments, and conveys its negative aspects, such as racism, cruelty and exploitation.

Key Words: natives, *A Passage to India*, colonizer-colonized, and racism.

This research explores the theme of the representation of Indians in Forster's *A Passage to India*. It is a representation of the social interactions in India at the time of the British Empire, which in turn is a reflection of the binary opposition between East and West. Major characters such as Aziz and Fielding are of great importance since, together, they reflect a unique relationship between Anglo-Indians and the natives. The opening chapter of the novel prepares the reader towards the portrayal of India and Indians as inferior to others, as Elleke Boehmer asserts: "Because the racial divide was so essential to sustaining notions of white superiority, even a slight modification of the rules of association– whether within the white community or in dealings with the local population– would threaten the

structures which upheld the entire system"(p. 65).

The choice of words to describe the imaginary Indian town, Chandrapore, and its climate, its landscape and its people, is humiliating. Forster draws the fictional town with a kind of horror and disgust:

> Except for the Marabar Caves-and they are twenty miles off-the city of Chandrapore presents nothing extraordinary. Edged rather than washed by the river Ganges, it trails for a couple of miles along the bank, scarcely distinguishable from the rubbish it deposits so freely. […] So abased, so monotonous is everything that meets the eye, that when the Ganges comes down, it might be expected to wash the excrescence back into the soil. Houses

> do fall, people are drowned and left rotting, but the general outline of the town persists, swelling here, shrinking there, like some low but indestructible form of life. (*A Passage to India*, p. *31*)

The source of the stereotypes is a collection of prejudicial assumptions about the Orientals that Said calls ‘Orientalism’. Said says, "The Orient in itself was subordinated intellectually to the West. As material for study or reflection the Orient acquired all the marks of an inherent weakness" (*Orientalism*, p. 152). In this way, Orientalist principles characterize the Eastern world based on stereotypes as an inferior world, a world of irrationality, savagery, backwardness and uncivilized, but identify themselves as a superior world, a

world that is rational, progressive and civilized. The District Superintendent of Police, Mr. McBryde, British police officer, has an Orientalist doctrine about the Indians. "All natives who live south of latitude 30 are criminals at heart" (*A Passage to India*, p. 176). The psychology of the people, McBryde tells Fielding, is different in India. The collector declares India to be a "poisonous country" and its people as "jackals".

Chapter two ends with the declaration that Indians are not allowed into Chandrapore club, even the educated ones, in spite of their mimicry and complete assimilation of imperial culture. Forster shows that educated Indians like Dr. Aziz would avoid politics at all costs. Haq, Aziz and others admit their inadequacy and

inferiority at all levels. This is meant to justify the presence of the British in India forever and forever.

The main character of the novel is Dr. Aziz, a Muslim doctor in Chandrapore and a widower. At the beginning of the novel, Aziz is scornful of the English, wishing only to consider them comically or ignore them completely. Although he is educated and intelligent, he is not allowed into the Chandrapore club because he is an Indian. As Thody declares in *Twentieth-Century Literature*:

> Forster is critical of English racialism. Because his skin is the wrong colour, Dr. Aziz is excluded from the club to which his intelligence and skill give him every right to belong, and the moment an accusation is made about him,

the European immediately believe it on the slenderest of evidence. (p. 243)

After Aziz's arrival to the Civil Surgeon's home and being ignored, he visits a local Islamic temple where he meets Mrs. Moore. Aziz reprimands her for not taking her shoes off in the temple before realizing that she has in fact observed this rule "madam, this is a mosque, you have no right here at all; you should have taken off your shoes; this is a holy place for Moslems" (*A Passage to India*, p. 42). The two soon find that they have much in common and they immediately become friends. When he says to her that few ladies do not take off their shoes especially if thinking no one is there, she replies: "That makes no difference. God is here" (*A Passage to India*, p. 42). It is almost as they have met in another life or realm. While

their commonalities may bring them together, their race and background only tear them apart. Dr. Aziz explains to Mrs. Moore that the British should not be seen with the Indians. Abdul R. Jan Mohamed declares in his article in "Critical Inquiry": "European colonisers exercise direct and continuous bureaucratic control and military coercion of the natives: during this phase the consent of the natives is primarily passive and indirect" (p.61).

Aziz attempts to be decent to the English, but the response he gets is his arrest following the visit to the Marabar Caves. Mr. Turton, the collector, as he testifies against Aziz in the Court, says:

> I have had twenty-five years' experience of this country, and during those twenty-five years I have never known anything but disaster result when English people and Indians attempt to be intimate socially. Intercourse, yes. Courtesy, by all means. Intimacy never, never. The whole weight of my authority is against it. (*A Passage to India*, p. 173)

Major Callendar, in spite of the fact that he knows Dr. Aziz to be a better professional, describes him as a man with, "no grit, no guts". He even reprimands him for not doing his duty and wandering around. Moreover, he shows his temper to Aziz. The Indians are portrayed as cringing towards the British and living with constant fear.

Mrs. Turton, a British woman, describes the Indian women as if they were commodities. An Indian woman is described only as a "shorter lady" and the other one is called the "taller lady". She hardly treats them like living individuals, with their respective personalities and identities, "All the Indian ladies, were uncertain, cowering, recovering, giggling, making tiny gestures of atonement or despair" (*A Passage to India*, p.62). It is only a stereotype portrayal, meant to reinforce the imperial ideology of superiority and to contain India and Indians. When the innocent Aziz is freed and the mob is rioting, just after Major Calendar boasts of his medical cruelties to the "buck nigger" Nureddin, says "there's not such a thing as cruelty after a thing like this". Mrs. Turton virulently responds "exactly, and remember it afterwards, you men. You are weak, weak,

weak. Why, they ought to crawl from here to the caves on their hands and knees whenever an Englishwoman's in sight, they oughtn't to be spoken to, they ought to be spat at, they ought to be ground into the dust"(*A Passage to India*, p. 220).

Through a character analysis of the attitudes and mentality of the colonial administrators of the British Empire in India, the novel conveys its anti-imperial critique. For example, Ronny Heaslop is a representative of an official who embodies the imperial ideal of the 'White Man's Burden' in his job as Chandrapore's City Magistrate. In his capacity of an administrator of law, he believes that it is his duty to work in India to impose order onto its chaos. In *Critical Terrains* in the

chapter of Orientalism as Literary Criticism, Lisa Lowe says:

> Missionaries, colonial administrators, members and officials of the Indian Civil Service, and their wives, wrote about India as if its people were caught in a primordial past imagined as anterior to their own society before its evolution to civilization. they represent the British presence there as a high and holy mission to save souls and to deliver the Indians from pagan sexuality.(p. 108)

Thus, the white man's burden is a form of conquest because those who adhere to it falsely believe that they have a duty to impose superior Western concepts of humanity, civilization, morality, ethics and justice onto other nations. "England holds India for

her own good" (*A Passage to India* p. 124). It is the typical rhetoric of the white man's burden which justifies the British presence in India. However, Forster shows this by giving voice to an Indian scepticism of Britain's right to rule India. Jan Mohamed also says in his article in "Critical Inquiry", "Colonialist discursive, particularly its literature, are not very useful in controlling the conquered group at its early stage: the native is not subjected, nor does his culture disintegrate, simply because a European characterizes both as savage"(p. 62). Hamidullah, questioning the alleged moral superiority of the Empire, asks Fielding "Excuse the question, but if this is the case, how is England justified in holding India?" (p. 124).

The novel shows that India is too complex to be dealt with . It is skeptical because Ronny is trying to control a world that is not his own. This is suggested in his perception of the Indians as 'incoherent'. Furthermore, the novel is ironic about Ronny setting himself up as an authority of truth and justice. Ronny's thoughts suggest a colonial narrative in which the Indians are portrayed as being inferior and in need of the British to rule them. In the passage quoted above no perspective is given of the Indians themselves. They are seen as being incoherent criminals, liars, and flatterers. Although at this point Ronny is referring to Indian criminals, this view of Indians resonates in his and other colonialists' minds about Indians in general.

A Passage to India begins and ends by posing the question whether it is possible for an English and an Indian to be friends, at least within the context of British colonialism. Forster uses this question as a framework to explore the general issues of Britain's political control of India on a more personal level, through the friendship between Aziz and Fielding. As the story ends, they part on a strained note:

> 'Why can't we be friends now?' said the other, holding him affectionately. 'It's what I want. It's what you want.' But the horses didn't want it – they swerved apart; the earth didn't want it, sending up rocks through which riders pass singly-file. the temples, the tank, the jail, the palace, the birds, the carrion, the Guest House, that came into

view as they issued from the gap and saw beneath: they didn't want it, they said in their hundred voices, "No, not yet," and the sky said, "No, not there". (*A Passage to India* p. 316)

Indeed, Forster acknowledges the need for India to be free before such a friendship can take place, though he is aware of the problematic issues involved in the effort to set India free. Jan Mohamed also comments in his article "The Economy of Manichean Allegory" on the discussion between Aziz and Fielding at the end of the novel, saying: "On initial consideration, the discussion between Aziz and fielding at the end of the novel strongly implies that colonialism, which necessarily involves the subordination of one to the other, is the real barrier"(p. 77).

The colonizers arrive fresh from England "intending to be gentlemen, and are told it will not do. Hence, they all become exactly the same not worse, not better" (*A Passage to India*, p. 9).

Ronny Heaslop complains that "people are so odd out here, and it's not like home one's always facing the footlights […] They notice everything, until they're perfectly sure you're their sort" (*A Passage to India*, p. 44). Individuality is problematic in a colony because the people there should adopt the same ideologies. Ronny realizes the illegitimacy of the British presence in India. Yet, to retain his privileges and to remain an accepted, as well as respected part of the colony, he tries hard to convince himself and others of the legitimacy of the

British presence in India. He interrogates his mother as follows:

> Did you gather he [Aziz] was well-disposed? Ignorant of the force of this question, she replied, "Yes, quite, after the first moment." "I meant, generally. Did he seem to tolerate us the brutal conqueror, the sun-dried bureaucrat, that sort of thing?"(*A Passage to India* p. 53)

These words reveal Ronny's awareness of the British status as a "brutal conqueror" and his strong desire to protect it from potential threats. Mrs. Moore is shocked at the transformation of her son. She is also shocked to hear that her son has adopted ideological stance. She protests, "You never used to judge people like this at home" (*A Passage to India*, p. 54). Ronny announces

that "India isn't home" and relies on "phrases and arguments that he had picked up from older officials, and he did not feel quite sure of himself" (*A Passage to India*, p. *54*) to silence his mother and convince her of his adopted new logic.

At the house of Hamidullah, the Indians are shown as slaves, recalling the words expressed by the white people towards them. The narrator confirms the subject and the reductive status of the Indians. Forster shows the fate of Indian women worse than men do. The wife of Hamidullah is in purdah, she cannot take her dinner before men take it. She believes that women have no possible life and existence without marriage and men. The narrator describes the fate of the Indian women as mere wedlock and motherhood.

Nayantara Sahagal in her article "passion to India" sustains the same idea saying, "Our society conditions young girls to believe that Real Life consists of getting married, having children, promoting one's husband's career [….] as women are supposed to be round-the-clock wives, mothers, housekeepers" (p. 81).

The Indians are portrayed as lazy, with parasitic tendencies. Latif, an Indian character, has never done a stroke of work; he lives off the generosity of Hamidullah. His wife lives somewhere else in similar circumstances. Latif hardly visits her. He is shown worrying about political and philosophical issues. This is a negative comment on the Indian character. The Indians are also portrayed as ashamed of themselves

and of their culture. This reflects the impact of imperial culture upon the native culture and identity. Dr. Aziz is also portrayed as ashamed of his house, which he regards as a shanty. It is infested with black flies. Dr. Aziz is constructed as a man, who has assimilated the Western culture to the extent, that he has developed an Orientalist vision, leading to self-pity and self-hatred. To escape from the possible embarrassment, he invites Miss Quested and Mrs. Moor at the Marabar caves. Dr. Aziz is presented as an immature person who invites his guests to the Marabar caves, without having ever seen or visited himself that place beforehand. Ronny calls Dr. Aziz as the spoilt westernized type, in other words, a mimic man.

Everything associated with India is bad and ugly; Even April is a month of horrors. Indian sun, instead of having any beauty and glory, is sinister. In India, however, "the retreat is from the source of life, the treacherous sun, and no poetry adorns it, because disillusionment cannot be beautiful" (*A Passage to India*, p. 199). Ronny notes that "there's nothing in India but the weather […] it's the alpha and omega of the whole affair" (*A Passage to India*, p. 45). India's hostility to its colonizers is demonstrated in the heat, which becomes so problematic to the English. "The sun is crashing on their backs," and they are "pursued by stabs of hot air". Hot weather is also depicted as a "monster" (*A Passage to India*, p. 186). The Indian landscape is described as poor, trees are said to have a

poor quality. In *Colonial and Postcolonial Literature*, Boehmer declares that:

> There was the strategy of displacement, a device whereby the intransigence or discomfort the colonizer experienced was projected on to the native. This is clearly demonstrated in the process of othering. Especially where they were resistant to his requirements, the European represented colonized people as unruly, inscrutable, or malign. In *A Passage to India*, Adela Quested, 'drawn into a mass of Indians', finds it 'as if the heat of the sun had boiled and fried all the glories of the earth into a single mess'. (p. 90)

The hostility of India is further highlighted when compared with the depiction of other places in the novel. Such as Venice, it is

different from 'hostile' India. "The buildings of Venice, like the mountains of Crete and the fields of Egypt, stood in the right place, whereas in poor India everything was placed wrong. Fielding had forgotten the beauty of form among idol temples and lumpy hills; indeed, without form, how can there be beauty?" (*A Passage to India* p. 265). India has nothing pleasing to offer to its colonizers. Moreover, India refuses a friendship between a native and a colonizer. The arrival of Ronny during Fielding's tea party ruins the friendly mood. "It was as if irritation exuded from the very soil" (*A Passage to India,* p. 71). The sky also turns "angry orange" to express its objection to the presence of the colonizers.

All the incidents through the novel indicate that friendship between a dominant and a subservient people is rarely possible. The final answer to the question of friendship is emphatically negative: English and Indians cannot be friends until Indians are politically independent. Aziz's vow to Fielding, "India shall be a nation! ... We may hate one another but we hate you most… we shall drive every blasted English man into the sea, and then… you and I shall be friends"(*A Passage to India*, p. 322). *A passage to India* embodies the truth that Orientals hate their European oppressors. Colonizers always introduced a false image of the natives and they did their best to present the Indian natives as primitive, uneducated and inferior people. All that is to justify their presence in India pretending

to bring civilisation to this uncivilised country.

Works cited

Boehmer, Elleke. *Colonial and Postcolonial Literature*. New York: Oxford University Press, 2005, pp.65-90 .

Forster,E.M.*A Passage to India*.Harmondsworth: Penguin Books,1972.

JanMohammed, Abdul R. "The Economy of Manichean Allegory". Critical Inquiry, Vol.12 No.1, The University of Chicago Press, 1985,pp. 59-87.

Lowe, Lisa. "Orientalism as Literary Criticism: The Reception of E. M. Forster's *A Passage to India*". Critical Terrains. Cornell University Press, 2018.

Sahagal, Nayantara. "Passion to India". Indian Literature, Vol.32, no.1, Sahitaya Akademi, 1989, pp. 78-88.

Said, Edward W. *Orientalism*. New York: Pantheon, 1978.

Thody, P. *Twentieth-Century literature*: *Critical Issues and Themes*. London: Macmillan, 1996, p. 243.

Thomson, George H. "Thematic Symbol in *A Passage to India*". *Twentieth Century Literature*. Duke University Press, 1961, pp.51-63.

التّناصّ البلاغيّ النّقديّ في نصّ عبد القاهر الجرجانيّ

مفهوم (صورة المعنى) أنموذجاً

*الأستاذ الدكتور ناصيف ناصيف

** الدكتورة سهام صقر

***علا يوسف

ملخّص:

يستعين هذا البحث بمدخلٍ معرفيٍّ جديدٍ يُقارب النصّ النّقديّ ، ويُعنى برصد علاقاته بالنّصوص الغائبة التي تستدعيها قراءته الفاحصة. هذا المدخل – كما يكشف العنوان – هو التّناصّ الذي كَثُرت دراسته في النّصوص الإبداعيّة ، وغابت – أو تكادُ– عن النّصوص النّقديّة. من هنا فقد توجّهت عناية هذا البحث إلى التّناصّ النّقديّ بوصفه حقلاً معرفيّاً بكراً في الدّراسات النّقديّة العربيّة. وقد تخيّر البحث نصّاً تراثيّاً غنيّاً متناً يشتغل عليه ؛ هو النّصّ البلاغيّ النّقديّ لعبد القاهر الجرجانيّ (471هـ) ، ثمّ ضبط مجال الدّراسة ببحث التّفاعل النّصيّ مع النّصوص البلاغيّة التي سبقت هذا النصّ أو عاصرته في قضيّةٍ محدّدةٍ هي "صورة المعنى"؛ ليكشف عن أهمّ النّصوص الغائبة في النصّ الجديد ، وليُلقي الضّوء من خلال القراءة النّصيّة التّحليليّة على عمليّات التّحويل التي أحدثها في هذه النّصوص بعد تشرّبها، واستدراجها إلى بنيته الخاصّة.

كلمات مفتاحيّة: التّناصّ النّقديّ ، البلاغة ، النّقد ، الجرجانيّ ، صورة المعنى.

* أستاذ دكتور – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللّاذقية – سوريّة.

** مدرّسة – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللّاذقية – سوريّة.

*** طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللّاذقية – سوريّة.

The critical- rhetorical inter-textuality in the text of Abd al-Qaher al-Jurjani The concept of (meaning picture) as a model

* Dr.Nassif Nassif **Dr.Siham Sakr ***Aula Yousef

Abstract

This research tries to study the critical text in a new method , which is concerned with monitoring its relations with the implied-texts that the critical reading reveals. This new process - as the title reveals - is inter-textuality, which has been studied a lot in creative texts, and is absent - or almost - from critical texts. Hence, the attention of this research was directed to critical inter-textuality as a virgin field of knowledge in Arab critical studies.This research has chosen a rich heritage text to work on; It is the critical- rhetorical text of Abd al-Qaher al-Jurjani, then adjusting the study's settings: to reveal the implied- texts in the new text, and to highlight on the text transformation beyond the textual absorption and attracting the texts into its own structure.

Keywords: Critical inter-textuality, rhetoric, criticism, Al-Jurjani, the image of meaning

*Professor at Arabic language and Literature Department –Tishreen University –Lattakia-Syria.

**Doctor – Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.

***P.HD student Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.

مقدّمة:

لـم يقصـر منظّـرو التنـاصّ(intertextuality) دراسـتَه علـى ضـربٍ واحـدٍ مـن النّصـوص ، أو نمطٍ معيّنٍ من أنظمـة العلامـات ، بـل تكلّمـوا علـى التنـاصّ فـي نصـوص لغويّة وأخرى غير لغويّة[1]. بيد أنّ دراساتنا العربيّة توجّهت – في شطرٍ كبيرٍ منها – إلى النّصـوص اللّغويـة الإبداعيّـة ؛ تناقـدها ، وتسـتجلي حواريّتهـا، كاشـفةً عـن النّصـوص المنطوية عليها ، المتحوّلة في بنيانها، ولم تلتفت إلى دراسة التناصّ في النصّ النّقديّ ؛ مـع أنّ التّنظير للتنـاصّ النّقديّ بدأ مبكّراً نسبيّاً مـع الباحثة البرازيليّة ليلى بيرون موزاي التـي نشـرت مقـالاً عـام 1976م فـي العـدد (27) مـن مجلـة الشّـعريّة فـي فرنسـا بعنـوان "التّنـاص النّقـديّ" قـدّمت فيـه رؤيـة خاصّـة للتّنـاصّ فـي النّقد[2] ، وبحثـت الفـروق بـين الحواريّة الأدبيّة ونظيرتها النّقديّة ، وذلك بعد عقدٍ من الزّمن تقريباً علـى ظهور مصطلح التناصّ في كتابات جوليا كريستيفا ، وانتشار نظريّة التناصّ[3].

من هنا فقد توجّه اهتمام هذه الدّراسة إلى هذا الحقل المعرفيّ الذي يكاد يكون مُغيّباً عـن دراسـاتنا العربيّـة؛ ليكـون التّنـاصّ النّقديّ بـؤرة هذا البحـث ، ومحـور ارتكـازه . أمّـا انتقاء نـصّ عبـد القـاهر الجرجـانيّ حقـلاً تطبيقيّـاً لهـذه الدّراسـة التّناصـيّة ، فقد جـاء وليـد

[1] تحدّثت جوليا كريستيفا عن التناص في الموسيقى والرّسم والرّقص ؛ ينظر: نظريّة التّناص ،77.

[2] رأت الباحثة أنّ العلاقة بين المبدع والنّاقد تتضمّن الخضوع ؛ فالأدب نصّ يعلو النصّ النّقديّ . ولذلك وجدت أنّ النّظرة التّقليديّة إلـى النّقد بوصفه ميتالغة تلغي إمكانيّة إقامة حوارٍ حقيقيّ بين النّص النّقدي والنّص الإبداعيّ ؛ فالحوار يتطلّب المساواة ، ويسقط مع الخضوع والتّبعيّة. وانتهت في دراستها إلى أنّ رؤية النّقد بوصفه كتابةً موازيةً للكتابة الإبداعيّة السبيل الوحيدة للحديث عن تناصّ نقديّ حقيقيّ. لقراءة المقال كاملاً ينظر: التّناصّ النّقدي ، 55–84.

[3] ظهر مصطلح التناص في كتابات جوليا كريستيفا التي نُشرت بين عامي 1966–1967م في مجلّتي تل كيل Tel Quel ، وكريتيك Critique . وأُعيد نشر هذه الأبحاث في كتابها (سيميوتيك) الصّادر عام 1969م ، وفي كتابها (نـصّ الرّوايـة) الـذي صـدر عـام 1970م ، وفـي التّقديم لكتـاب (دوستويفسكي) لبـاختين ؛ ينظـر: آفـاق التناصيّة (المفهوم والمنظور) ، 80–81.

إيمان بضرورة مقاربة التّراث مقاربة جديدة ؛ تعيد قراءته ، وتكشف إمكاناته المخبوءة . ونصّ عبد القاهر – كما هو معلومٌ– من أبرز نصوصه الغنيّة التي لم تستنفدها القراءات الكثيرة. ونظراً لاتسّاع مادّة البحث ، فقد تخيّر البحث أنموذجاً واحداً من نصّه البلاغيّ النقديّ ؛ تأطيراً للدّراسة ، هو مفهوم "صورة المعنى" ؛ التعبير الذي كثّف فيه نصّ عبد القاهر رؤيته للعلاقة النّاظمة للّفظ والمعنى. ولتحقيق هذه الغاية انطلقنا – شأن الدّراسات التناصيّة– من النصّ اللاّحق (نصّ عبد القاهر البلاغيّ)؛ نتقرّاه ، ونتحرّى إنتاجيّته عبر الكشف عن أهمّ النّصوص الغائبة التي تستدعيها قراءته ، ثمّ نحدد موقعها في النصّ الجديد ، ونظهر آليات تحويلها.

أهميّة البحث وأهدافه:

لا شكّ أنّ أهميّة هذا البحث تستند إلى جدّة المدخل المعرفيّ الذي تخيّره للدّراسة ؛ أي إنّها تأتي من تخيّر نصّ نقديّ موضوعاً تطبيقياً للتناصّ. يُضاف إلى ذلك محاولة امتلاك التّراث امتلاكاً نوعيّاً عبر قراءته قراءة جديدة ، توظّف الأدوات المعرفيّة الحديثة في الكشف عن إمكانات النصّ التراثيّ. أمّا هدفه فهو الكشف عن طبيعة تفاعل نصّ عبد القاهر مع النصوص البلاغيّة النقديّة السّابقة والمعاصرة له في "صورة المعنى" ؛ لتعيين النّصوص التي وظّفها النصّ الجديد في تشكيله مفهوم صورة المعنى ، ثمّ الكشف عن طبيعة العلاقات التي أقامها مع النّصوص السّابقة والمعاصرة له.

طرق البحث وموادّه:

ينتحي هذا البحث سمتاً وصفيّاً تحليليّاً تفسيريّاً ، ينتهي إلى التّقويم ؛ فيتقرّى نصّ عبد القاهر البلاغيّ النّقديّ في كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، كاشفاً عن أهمّ النّصوص البلاغيّة التي يُحيل عليها في مفهوم "صورة المعنى" ، مبيّناً وظائفها الجديدة المنوطة بها في النصّ الجديد ، موضّحاً طبيعة التّحويل الذي يحكم علاقة اللاّحق

بالسّابق. وعليه ، تكون مادّة البحث الأساسيّة هي : نصّ عبد القاهر البلاغيّ النقديّ في: أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، والنّصوص البلاغيّة النقديّة التي سبقته وعاصرته.

صورة المعنى في نصّ عبد القاهر:

بات معلوماً أنّ نصّ عبد القاهر حطّم ثنائيّة اللّفظ والمعنى بوصفها إحدى الثّنائيّات الخدّاعة التي درجت عليها النّصوص السّابقة والمعاصرة له[1] ؛ فألغى الفصل السّائد بين اللّفظ والمعنى ، ووجّه الاهتمام إلى ذوبهما معاً في النّظم والأسلوب. واللّافت أنّه لم يقتصر في مسعاه هذا على وجهٍ واحدٍ ، بل قلّب المسألة على وجوهها ، واستحضر في تأسيسه القول بوحدة اللّفظ والمعنى نصوصاً نحويّة ، وكلاميّة ، وبلاغيّة يقصر عنها الإحصاء. وإذا كانت هذه الرّؤية قد تجلّت نحوياً في النّظم وتوخّي معاني النّحو فيما بين الكلم[2] ، وكلامياً في ترتيب الألفاظ في النّطق وفقاً لترتيب المعاني في النّفس[3]، محيلاً بذلك على المقولة الأشعريّة التي ترى حقيقة الكلام معانيَ نفسيّةً[4] ، فإنها تتجلّى بلاغياً في صورة المعنى ؛ موضوع بحثنا هذا.

والنّصوص التي تكشف رؤية النصّ لصورة المعنى كثيرةٌ ، جاء معظمها في سياق الرّد على مَن نسب الحُسن والمزيّة إلى اللّفظ ؛ كقوله : « والذي له صاروا كذلك ، أنّهم حين رَأوهم يفردون "اللّفظ" عن "المعنى" ، ويجعلون له حسناً على حدةٍ ، ورأوهم قد قسّموا الشّعر فقالوا: " إنّ منه ما حَسُن لفظه ومعناه ، ومنه ما حسن لفظه دون معناه ، ومنه ما حسن معناه دون لفظه" ، ورأوْهم يصفون " اللّفظ" بأوصافٍ لا يصفون بها "المعنى" ،

[1] ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ٣٤٠-٣٤٢.

[2] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ، 370.

[3] ينظر: نفسه ، 52-54 ، وكتاب أسرار البلاغة ، 5.

[4] كان عبد القاهر الجرجاني متكلّماً أشعريّاً ، وقد رأى الأشاعرة أنّ الكلام –على الحقيقة– هو المعاني النّفسية ؛ ينظر: في علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدّين) ، 2/ 69-77.

ظنّوا أنّ للّفظ ، من حيث هو لفظٌ حسناً ومزيّةً ونُبلاً وشرفاً ، وأنّ الأوصاف التي نَحَلُوه إيّاها هي أوصافه على الصّحة ، وذهبوا عمّا قدّمنا شرحه من أنّ لهم في ذلك رأياً وتدبيراً، وهو أن يَفْصِلوا بين المعنى الذي هو الغرض ، وبين الصّورة التي يخرج فيها ، فنسبوا ما كان من الحسن والمزيّة في صورة المعنى إلى" اللّفظ" ، ووصفوه في ذلك بأوصافٍ هي تُخبر عن أنفسها أنّها ليست له...»[1] ، وقوله: « وقد علمنا أنّ أصل الفساد وسبب الآفة، هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصّور ، وتَحْدُث فيها خواصُّ ومزايا من بعد أن لا تكون...وذلك أنّهم لمّا جهلوا شأن الصّورة ، وَضعوا لأنفسهم أساساً، وبَنَوْا على قاعدة فقالوا : إنّه ليس إلّا المعنى واللّفظ ، ولا ثالث...»[2] ؛ فنفى أيّة قيمةٍ للّفظ المفرد وأصل المعنى[3]، وردّ المزيّة إلى التشكيل ، والصّورة التي يخرج فيها المعنى ، مؤيّداً تصوّره النّظريّ بأمثلةٍ تطبيقيّةٍ كثيرةٍ[4] ، مكثّفاً في مفهوم "صورة المعنى" رؤيته للنصّ بوصفه تصويراً للمعنى ، وتشكيلاً له ، وهيئةً يتفاعل فيها اللّفظ والمعنى ، ويذوبان معاً. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ صورة المعنى لا تقتصر في نصّ عبد القاهر على الصّورة البيانيّة ؛ فالمعنى يتشكّل بالتّشبيه ، والتّمثيل ، والاستعارة ، والتّقديم والتّأخير ، والتّعريف والتّنكير ، وغيرها[5].

والملاحظ أنّ تعبير (صورة المعنى) يحضر في نصّ دلائل الإعجاز بوصفه مصطلحاً قارّاً ، يكتنز مدلولات الانسجام ، والتّناسق ، والجماليّة الناتجة من خصوصية

[1] كتاب دلائل الإعجاز ، 365-366.

[2] نفسه ، 481.

[3] ينظر: نفسه ، 266 ، 422.

[4] ينظر: نفسه ، 261، 265 -266 ، 423 ، 425 ، 427-428 ، 507-508 ، 535-536.

[5] ينظر: نفسه ، 265-266 ، 364 ، 371-372 ، 423-425 ، 427.

التّشكيل ، وفرادة الأسلوب ، مقابل شيوع المعنى وابتذاله بوصف (المعنى) دالّاً على الغرض[1].

وعلى نحو مغاير يُذكر تعبير (صورة المعنى) عَرَضاً في نصّ الأسرار[2] ، منطوياً على الدّلالات ذاتها. وفي سياق تأصيل نصّ عبد القاهر هذا المصطلح ، وبسط مفهومه ، وتواشجاته مع المعنى الأصل ، والأسلوب ، والنّظم ، ومعنى المعنى ، وغيرها نلاحظ أنه يستخدم دوالّ : الشّكل[3] ، والصّفة[4] ، والهيئة[5] بوصفها مرادفاتٍ للصّورة. الأمر الذي يوجّهنا مباشرة إلى معجمات اللّغة التي تشرح (الصّورة) بالدّوال السّابقة نفسها ؛ ففي معجم مقاييس اللّغة لابن فارس (٣٩٥هـ) : صورة كل مخلوق هيئةُ خلقته. والله تعالى المصوِّر[6]. وقال الرّاغب الأصفهاني(٤٢٥هـ): " الصّورة : ما يُنتقش به الأعيان، ويتميّز بها غيرها ، وذلك ضربان : أحدهما محسوس يدركه الخاصّة والعامّة ، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان ، كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعاينة ، والثّاني : معقول يدركه الخاصّة دون العامة ، كالصّورة التي اختُصّ الإنسان بهما من العقل والرّوية ، والمعاني التي خُصّ بهما شيء بشيء . وإلى الصّورتين أشار بقوله تعالى : "ثمّ صوّرناكم" ...وقال عليه السّلام : " إنّ الله خلق آدم على صورته" فالصّورة أراد بها ما خُصّ الإنسان من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة ، وبها فضّله على كثير من خلقه..»[7]. وجاء في لسان العرب: « في أسماء الله تعالى: المصوّر وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها ، فأعطى كلّ شيءٍ فيها صورة خاصّة وهيئة مفردة يتميّز بها ،

[1] ينظر: نفسه ، ٣٦٦.
[2] ينظر: كتاب أسرار البلاغة ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٦.
[3] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ، ٢٦٥ ، ٢٦٦.
[4] ينظر: نفسه ، ٤٢٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٧.
[5] ينظر: نفسه ، ٩٧ ، ٢٦٥ ، ٥٠٧.
[6] ينظر: معجم مقاييس اللّغة ، 3/ ٣٢٠(صور).
[7] المفردات في غريب القرآن ، 427(صور).

علـى اختلافهـا وكثرتهـا. ابـن سِـيْدَه : الصّـورة فـي الشّكل...وتصـوّرت الشّـيء: توهّمـتُ صورته فتصوّر لي... قال ابن الأثير: الصّورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته»[1].

أي إنّ (الشّكل ، والهيئة ، والصّفة) مرادفاتٌ لغويةٌ للصّورة ، نقلها نصّ عبد القاهر إلـى المستوى الاصـطلاحيّ الذي يدور في فلك الأول اللّغوي . ويبدو أنها دوالٌ تتمركز حول دلالة أساسيّة هي الشّكل الذي تتجلّى به المادّة ، وتتميز به من أفراد جنسها. ومن هذه الدّلالـة تنـتج دلالـة مهمّـة أخرى تقرن التّصـوير بالتّركيـب ، والخلـق ، وتسم الصّـورة بطـابع مصـوّرها. وتصـحّ هاتـان الـدّلالتان علـى الصّـورتين : الحسيّة والمجرّدة. وقد أكّد نـصّ عبـد القـاهر انطلاقـه مـن أسـاس لغـويّ ، وتأسـيس مفهومـه للصّـورة علـى التّـراث البلاغيّ في نصّ جاء فيه : « واعلم أنّ قولنا "الصّورة" ، إنما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نعلمه بعقولنا علـى الذي نـراه بأبصـارنا ، فلمّا رأينا البينونـة بين آحـاد الأجنـاس تكون من جهـة الصّورة ، فكان تبيّن إنسان من إنسان وفرس من فرس ، بخصوصيّة تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان تبيّن خاتم من خـاتم وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينـه فـي الآخر بينونـةً فـي عقولنا وفرقاً ، عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا : " للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك". وليس العبارة عن ذلك بالصّورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكرٌ ، بل هو مستعملٌ مشهورٌ في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ: " وإنما الشّعر صياغة وضرب من التّصوير "»[2].

يعلن هذا النصّ –عبر إشارته إلى اختلاف صور المصنوعات– اشتباكه بالنّصين: الإبداعيّ الشّعريّ ، والبلاغـيّ النّقديّ ؛ فقد شـاع فـي هذين النّصـين الـرّبطُ بـين الشّـعر

[1] لسان العرب ، ٢٥٢٣/٤(صور).
[2] كتاب دلائل الإعجاز ، ٥٠٨.

وضروب الصّناعات التي يفضل فيها الصّانعُ الصّانعَ كالحوك ، والنّسج ، وصوغ الشّنف والسّوار. ويبدو أنّ نصّ عبد القاهر الذي أكثر التّنبيه على هذه الصّلة في نصوص سابقيه[1] أقرَّ هذه العلاقة ، مقترباً من عددٍ من النّصوص بدرجات متفاوتة ؛ خاصّة تلك التي ذهبت إلى أنّ عمل الشّاعر يتعلّق بإحداث صور في المعاني كنصّ قدامة بن جعفر(337هـ)[2] ، ونصّ ابن سينا(427هـ)[3] ، أو تلك التي رأت اللّفظ صورة المعنى كنصّ الرّمانيّ(386هـ)[4]. لكنّ الملاحظ أنّ هذه الإشارات التي تشكّل نقطة التحام بيّنة لنصّ عبد القاهر بأسلافه ليست متناً في النّصوص الغائبة ، بل تظهر سريعة عابرة ؛ ولذلك هي –في الغالب– محكومةٌ بسياق النصّ الذي تنتمي إليه؛ الأمر الذي يفرض وقفة منفردةً عند كلّ نصّ ؛ للكشف عن العلاقة التي تربطه بالنصّ الجديد. لا نستثني من ذلك إلّا نصّ الجاحظ(255هـ) الذي استحضره نصّ عبد القاهر صراحةً ، وأقام حواراً مباشراً معه في غير موضعٍ[5]، مقرّاً مقولاته بصورةٍ عامّةٍ ؛ الأمر الذي دفعنا إلى تقرّي نصّ الجاحظ ومناقدته ؛ لبحث التناصّ معه في "صورة المعنى" ، إضافةً إلى نصّ قدامة ابن جعفر بوصفه مثالاً لضربٍ آخرَ من التّفاعل النّصيّ ، يمكن أن نقيس عليه نظائر كثر.

– التناص مع نص الجاحظ :

تكشّفت القراءة الاستكشافيّة الأولى لنصّ عبد القاهر عن حضور جليّ لنصّ الجاحظ، تكثّفه العبارة ذائعة الصّيت: « فإنّما الشّعر صناعة ، وضرب من النّسج ،

[1] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز، ٣٤–٣٥ ، ٤٩، ٥٣ ، ٢٥٤–٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٤٢٢ ، وكتاب أسرار البلاغة ، ٣٤٢ –٣٤٣.

[2] ينظر: نقد الشّعر ، 65.

[3] ينظر: في الشّعر ، 214.

[4] ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ٧٦.

[5] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ، ٢٥٠–٢٥١ ، ٢٥٦–٢٥٧ ، ٤٨٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣. وقد استشهد بالجاحظ وذكره صراحة في سياقات أخرى ؛ ينظر: نفسه ، ٥٧ ، ٥١١ ، ٥٥٦ ، ٥٩٨–٥٩٩ ، وكتاب أسرار البلاغة ، ١٤٧.

وجنس من التّصوير »[1]. الأمر الذي بعث تساؤلات عدّة حول طبيعة علاقة اللّاحق بالسّابق ، ودفعنا إلى تقرّي النّصين بحثاً عن مواضع اشتباكهما ؛ لنخلص إلى أنّ هذا الاستدعاء المتكرّر واعٍ مقصودٌ ، يُعلن فيه نصّ عبد القاهر انتسابه إلى نصّ الجاحظ وتأسّسه على مقولات سلفه . وهذا لا يعني أنّ النصّ اللّاحق لم يُحدث تحويلاً في النّصّ السّابق ، وإنّما نلاحظ أنّ حواره مع سلفه – مع اتّسامه بالنّديّة – كان هادئاً ؛ أصّل اللّاحقُ فيه السّابقَ ، وخالفه في القليل الأقل أهميّة. وكلامنا هنا على علاقة اللّفظ بالمعنى بصورة عامّة ، وصورة المعنى بصورة خاصّة.

إنّ أهمّ ما يدعم كلامنا السّابق ، ويشكّل نواة التناصّ الذي وصفناه آنفاً ، ظهور كلّ من : " المعنى" ، و"صورة المعنى" في نصّ الجاحظ بدالّهما ومدلولهما ذاته في نصّ عبد القاهر؛ فنصّ الجاحظ الذي فتّق الكلام على اللّفظ والمعنى وعى في الوقت نفسه أنّ المعنى مطروح في الطريق[2]، أمّا صورته فهي وليدة نظم خاصّ ، وتفاعل تنتظم وفقه المعاني ، وتتفاعل فيه عناصر التّركيب. على حين غاب هذا الفهم عن نصوص كثيرة تلته. واللّافت أنّ نصّه أبرز دالّ (الصّورة) بدلالتيه : اللّغوية بمعنى الشّكل[3]، والاصطلاحيّة بمعنى التّشكيل الفنيّ[4]، وأكثر استخدامهما. وبهذه الدّلالة الأخيرة أثبت غير نصّ ؛ أبرزها النّصوص الآتية:

– « إنّ الإعراب يُفسد نوادر المولّدين ، كما أنّ اللّحن يفسد كلام الأعراب ، لأنّ سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصّورة وذلك المخرج ، وتلك اللّغة وتلك العادة ؛ فإذا دخلْت على هذا الأمر – الذي إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجميّة التي فيه– حروف

[1] كتاب الحيوان ، ١٣٢/٣. وجاءت في نصّ عبد القاهر ؛ ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ، ٥٠٨.
[2] ينظر: كتاب الحيوان ، ١٣١/٣.
[3] ينظر: نفسه ، ٢٢/٤ ، ٢٥٠/٦ ، والبيان والتبيين ، ١/ ٧٠ ،٧٦.
[4] ينظر: كتاب الحيوان ، ١/ ٢٨٢ ، ٦/ ٤٦٦ ، والبيان والتبيين ، ١/ ٦٩، ٧٠.

الإعراب والتّحقيق والتّثقيل وحوّلته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهل المروءة والنّجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدّلت صورته»[1].

– « وإنّما الألفاظ على أقدار المعاني ، فكثيرها لكثيرها ، وقليلها لقليلها ، وشريفها لشريفها ، وسخيفها لسخيفها. والمعاني المفردة ، البائنة بصورها وجهاتها ، تحتاج من الألفاظ إلى أقلّ ممّا تحتاج إليه المعاني المشتركة ، والجهات الملتبسة..»[2].

–« فصورة الكلام هو الإرادة وهو القصد»[3].

– « فإذا رأت مكانه الشّعراء ، وفهمته الخطباء، ومن قد تعبّد للمعاني ، وتعوّد نظمها وتنضيدها، وتأليفها وتنسيقها ، واستخراجها من مدافنها ، وإثارتها من مكامنها ، علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم ممّا قد استفرغهم واستغرق مجهودهم ، وبكثير ما خُوِّلوه ، قليلاً مما يكون معه على البداهة والفجاءة...»[4] ؛ والكلام هنا على النبيّ محمّد (ص).

– « وشرّ البلغاء من هيّأ رسم المعنى قبل أن يهيّئ المعنى ، عشقاً لذلك اللّفظ ، وشغفاً بذلك الاسم ، حتى صار يجرُّ إليه المعنى جرّاً ، ويلزقه به إلزاقاً..»[5].

تكشف هذه النّصوص عن منطقة اشتراك واسعة ، يمتح فيها اللّاحق من السّابق ؛ فيشاركه في مقولاتٍ بارزةٍ ؛ منها:

– إنّ بينونة المعاني كامنة في صورها؛ أي في الخصائص والزّيادات التي تحدث في أصول المعاني[6].

– تغيير النّظم يغيّر صورة المعنى[7].

---

[1] كتاب الحيوان ، 282/1.

[2] كتاب الحيوان ، 8/6.

[3] نفسه ، 180/1.

[4] البيان والتبيين ، 30/4.

[5] رسائل الجاحظ ، 40/3 .

[6] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ، 260 ، 266.

[7] «...فأمّا إذا تغيّر النّظم فلا بُدَّ حينئذٍ من أن يتغيّر المعنى..» ؛ نفسه ، 265.

– لا ينكشف غرض المتكلّم ومراده إلا بالشّكل الذي تجلّى فيه كلامه[1].

– يحدث النّظم بتأليف المعاني ، وتنسيقها ، وتنضيدها[2].

– يبدأ النّظم بالمعاني وينتهي بالألفاظ ؛ لذلك فإنّ شرّ البلغاء من يهيّئ رسم المعنى قبل أن يهيّئ المعنى ذاته[3].

إضافة إلى كلّ ما سبق تستوقفنا إشارة أخرى نعتقد أنها تدعم وصف علاقة التناصّ السّابقة ينطوي عليها النصّ الآتي: « ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ ، التي هي لغات ، دلالتها ، لمَا كان شيء منها أحقّ بالتّقديم من شيء ، ولا تُصُوِّرَ أن يجب فيها ترتيب ونظم. ولو حفّظتَ صبيّاً شطرَ " كتاب العين" أو " الجمهرة" ، من غير أن تُفَسِّر له شيئاً منه ، وأخذته بأن يَضبطَ صور الألفاظ وهيآتها ، ويؤدّيها كما يؤدّي أصناف أصوات الطّيور ، لرأيته ولا يخطُر له ببال أنّ من شأنه أن يؤخّر لفظاً ويقدّم آخرَ ، بل كان حاله حالَ من يرمي الحصى ويَعدُّ الجوزَ »[4]. إنّ هذا النصّ المنشغل بكشف علاقة اللّفظ بالمعنى يحيل بتعبير "صور الألفاظ وهيآتها" على الأصوات ، مؤكّداً ذلك بتشبيه من حفظ هذه الصّور دون فهمها بتأدية أصوات الطّيور. وهذا الرّبط بأصوات الطّيور يستدعي نصّاً للجاحظ جاء فيه: « وتزعم الهند أنّ سبب ما لهُ كَثُرَ كلامُ الناس واختلفت صور ألفاظهم ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم في اللّين والشّدة ، وفي المدّ

[1] « المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلّة على الأغراض والمقاصد» ؛ نفسه ، 441.

[2] « ...ألا ترى أنّا لو جهدنا كُلّ الجهد أن نتصوّر تعلّقاً فيما بين لفظين لا معنى تحتهما ، لم نتصوّر؟ ومن أجل ذلك انقسمت الكلم قسمين: "مؤتلف"...و"غير مؤتلف" ...ولو كان التّعلّق يكون بين الألفاظ ، لكان ينبغي أن لا يختلف حالها في الائتلاف ، وأن لا يكون في الدّنيا كلمتان إلا ويصحّ أن يأتلفا ، لأنه لا تنافي بينهما من حيث هي ألفاظٌ» ؛ كتاب دلائل الإعجاز ، 466.

[3] «...وأنك إذا فَرغتَ من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فِكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدمٌ للمعاني ، وتابعةٌ لها ، ولاحقةٌ بها ، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس ، علمٌ بمواقع الألفاظ الدّالة عليها في النّطق» ؛ نفسه ، 54.

[4] نفسه ، 50.

والقطع–كثرة حاجاتهم. ولكُثْرِ حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف ألفاظهم ، واتّسعت على قدر اتّساع معرفتهم. قالوا: فحوائج السّنانير لا تعدو خمسة أوجه : منها صياحها إذا ضُربت ، ولذلك صورة. وصياحها إذا دعت أخواتها وآلافها ، ولذلك صورة. وصياحها إذا دعت أولادها للطّعم ، ولذلك صورة. وصياحها إذا جاعت ، ولذلك صورة. فلمّا قلّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلّت وجوه مخارج الأصوات. وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها»[1]. وفي هذا النصّ –أيضاً– تبدو (صورة اللّفظ) دالّاً مدلوله الصّوت . إلّا أنّنا لم نعقد صلة بين النّصين بسبب هذه الدّلالة التي تبدو بدهيّة ؛ فلا شكّ أنّ ما يميّز لفظاً من آخر هو صوته. ولكن الذي دفعنا إلى ترجيح التناصّ في هذا الموضع هو وجود التّعبير نفسه في النّصين؛ وهو تعبير غير شائع في نصوص المدوّنة البلاغيّة النقديّة ، ثمّ ربطه بالكلام على أصوات الطّيور.

وبعدُ ، فثمّة إشارات كثيرة تزكّي الرّؤية السّابقة ؛ نذكر منها باختصار شديد: كلام النّصين على مشاكلة اللّفظ للمعنى ، وربط ذلك بسياق نفسيّ جماليّ ، يلحّ على تلاحم أجزاء النّظم[2] ، ويقرن النّظم الفنّيّ بالسّبك والتّصوير والصّياغة والنّحت[3]. وهنا نؤكّد أنّ نصّ الجاحظ لم يختزل التّلاحم بالجانب الصّوتيّ الإيقاعيّ البحت كما قد يشي قوله: «وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً ، وسُبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان»[4] ، لكنه رآه أحد التّجليات الجماليّة للتّركيب الفنّيّ ؛ إذ نظر إلى تناغم هذه الأصوات ، وتأثيرها في

[1] كتاب الحيوان ، 21/4–22. ولم يذكر الجاحظ إلا أربع حاجات للسنانير ، مع أنه قال إنها خمس حاجات.

[2] ينظر: البيان والتبيين ، ٦٧/١ ، ٩٢–٩٣ ، ١١٥ ، ورسائل الجاحظ ، ١/ ٢٦٢ ، وكتاب دلائل الإعجاز ، ٩٣–٩٥.

[3] ينظر: كتاب الحيوان ، ٣/ ١٣٢ ، والبيان والتبيين ، ٦٧/١ ، ٢٩/٣ ، ٢٤/٤ ، وكتاب دلائل الإعجاز ، ٣٤–٣٥ ، ٤٩، ٥٣ ، ٢٥٤–٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٤٢٢ ، وكتاب أسرار البلاغة ، ٣٤٢ –٣٤٣.

[4] البيان والتبيين ، 67/1.

المتلقي[1] . على حين نُقل الاهتمام عن الأصوات ، ولم تُرَ عُمداً في المزيّة في نصّ عبد القاهر. ولا شك أنّ الرّؤية الكليّة للنّصّ الجديد التي حَدَت به إلى رؤية الجمال في العلاقات بين الأجزاء أمرٌ لافتٌ في النّصوص النّقديّة القديمة ، لكننا لا ننكر أنه أغفل الجانب الصّوتي الإيقاعيّ ، على حين انصبّ اهتمام نصّ الجاحظ على المستويين العموديّ والأفقيّ للتّركيب ، ونظر إلى النصّ من جوانبه كلّها، منطلقاً من قناعة فحواها أنّ «التّأليف يزيد الأجزاء الحسنة حسناً»[2]. ومن مواضع الاشتباك المهمّة التي لا يمكن تجاهلها التنبّه على تعدّد مستويات الكلام[3]؛ ، وربط البليغ منها بالتأويل والمجاز الذي يجافي المباشرة في علاقة اللّفظ بالمعنى ؛ إذ تتحصّل الدّلالة المقصودة بواسطة ؛ والكلام هنا عمّا أشار إليه نصّ عبد القاهر بقوله " معنى المعنى"[4] .

إذن يتشرّب نصّ عبد القاهر نصّ الجاحظ ؛ يذيبه في نصّه ، ويستثمر مقولاته ؛ ليبرزها بصورة أجلى ؛ خاصة "صورة المعنى" التي أنتجها نصّ الجاحظ ، وأصّلها نصّ عبد القاهر ؛ فأكثر ذكرها ، والتّمثيل لها ، وأوضح الفرق بينها وبين "المعنى". وهذا التّأصيل ، والتّمثيل ، والتّوسيع ليس بالأمر الهيّن ؛ خاصة إذا لاحظنا أنّ نصّ عبد القاهر تمكّن بتفاعله مع نصّ الجاحظ من الكشف عمّا لم تكشف عنه النّصوص الأخرى في تفاعلها مع نصّ الجاحظ نفسه ؛ فقد غاب مفهوم " صورة المعنى" عن النصوص التي أتت بعد الجاحظ ، وكان لا بُدّ من الانتظار قرنين من الزّمن لتأصيل هذا المفهوم في نصّ عبد القاهر؛ وفي هذا إشارةٌ إلى فاعلية أدوات هذا النّصّ ، وقدرته الفائقة على الامتصاص والتّحويل. وهذا القول لا يعني أنّ نصّ عبد القاهر مجرّد إعادة تشكيلٍ لنصّ الجاحظ ، وإنّما نؤكّد فيه تأكيد انتساب اللّاحق إلى السّابق في القضيّة المدروسة، مع

[1] ينظر: كتاب الحيوان ، ٧٤/١-٧٥ ، ١٩١/٤-١٩٤ ، والبيان والتبيين ، ٨٨/١-٨٩ ، وغيرها.
[2] رسائل الجاحظ ، 89/4 .
[3] ينظر: البيان والتبيين ، 144/1، وكتاب دلائل الإعجاز ، ٧ ، ٩٨ .
[4] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ،٢٦٣.

ملاحظة عدم التّطابق الكامل بين مفهوم "صورة المعنى " في النّصّين عند الحديث عن الجانب الصّوتيّ. وفي هذا السّياق نشير إلى أنّ تعدّد مرجعيّات نصّ عبد القاهر ، وحضورها الجليّ في نصّه من جهة ، وسيطرة النّسق البلاغيّ على نصّ الجاحظ من جهة أخرى أحد أهمّ الأسباب الدّافعة إلى هذه الفروق بين النّصّين.

التناصّ مع نصّ قدامة بن جعفر:

نقرأ في كتاب دلائل الإعجاز النصّ الآتي: « ومعلومٌ أنّ سبيل الكلام سبيل التّصوير والصّياغة ، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبَّر عنه سبيلُ الشّيء الذي يقع التّصوير والصّوغ فيه ، كالفضّة والذّهب يُصاغ منهما خاتَمٌ أو سوارٌ. فكما أنّ محالاً إذا أردتَ النّظر في صوغ الخاتم ، وفي جَودة العمل ورداءته ، أن تنظر إلى الفضّة الحاملة لتلك الصّورة ، أو الذّهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصّنعة كذلك محالٌ إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزيّة في الكلام ، أن تنظر في مجرّد معناه...»[1].

يستحضر هذا النصّ عدداً من النّصوص البلاغيّة ؛ من أبرزها نصّ قدامة بن جعفر الذي قدّم رؤية تلتقي رؤية نصّ عبد القاهر في نصّ جاء فيه: «...المعاني كلّها معرضة للشّاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحبّ وآثر ، من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشّعر بمنزلة المادّة الموضوعة ، والشّعر فيها كالصّورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصّور منها ، مثل الخشب للنّجارة ، والفضّة للصّياغة وعلى الشّاعر إذا شرع في أي معنى –كان– من الرّفعة والضّعة ، والرّفث والنّزاهة ، والبذخ والقناعة ، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذّميمة ، أن يتوخّى البلوغ من التّجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة»[2].

[1] كتاب دلائل الإعجاز ، 254-255.

[2] نقد الشعر ، ٦٥-٦٦.

مَن يقرأ هذا النصّ مجرّداً من سياقه النقديّ الكلّيّ الذي ينتمي إليه (نصّ نقد الشّعر) قد يذهب إلى تطابق رؤيته مع رؤية نصّ عبد القاهر ؛ باستثناء موقف الأخير من المعاني العقليّة والحكميّة التي ينسب إليها – في بعض المواضع–شرفاً مجرّداً من الصّنعة[1]، على حين ينفي عن المعنى الأصل أية مزية في مواضع كثيرة جرياً مع النّسق البلاغيّ المسيطر الذي يهتم بالخاصيّة النوعيّة لهذا الفنّ القوليّ. ويشترك النّصان (نصّ قدامة المذكور ونصّ عبد القاهر) –كما هو واضح– في قياس الشّعر على مجمل الصّناعات التي تُقوّم بجماليّة شكلها دون مادّتها.

إنّ جماليّة الشّكل/ الصّورة –كما كشف نصّ عبد القاهر– انعكاس لإتقان البناء الذي يتعرّف بطبيعته اللّغوية في الشّعر ؛ أي إنّ جمال الشّكل نتيجة لطريقة خاصّة في التّركيب / النّظم ، يتوخّى فيها النّاظم معاني النّحو وأحكامه ، وفقاً لسمتٍ نفسيّ يتجلّى في صورة لفظيّة. والنّصوص التي تجلو ذلك كثيرة تنظيراً وتطبيقاً[2]. على أية حال فقد قاده هذا الفهم إلى بلورة رؤية متماسكة للنّظم والأسلوب ، وفهم متميز للسّرقات الشّعريّة ميّزه من كثير من النّصوص التي حكمت بالأخذ والسّرقة نتيجة تداول المعنى الأصل ، على حين رأى نصّ عبد القاهر أن الأخذ لا يكون في المعنى الأصل بل في الأسلوب وصورة المعنى. وهنا تكثر دوالّ (الأخذ) ، و(الاحتذاء) ، و(الاتّباع) ، ويقلّ دالّ السّرقة في إشارة دالّة على الرّؤية السّابقة[3]. والسّؤال هنا : هل انطوى نصّ قدامة على هذا الفهم الذي يقتضيه حكمه على الصّناعة الشّعرية بأنها تصوير؟ مع الإشارة إلى أنّنا لا نريد – بالقطع– بسط هذه الرّؤية على النّحو النّاضج الذي تجلّت به في نصّ عبد القاهر.

نستطيع القول إن قراءة نصّ نقد الشّعر لم تتح لنا الوقوف عند ما يقارب الفهم السّابق . ونؤيّد قولنا هذا بأمور عدّة ؛ أهمّها:

[1] ينظر: كتاب أسرار البلاغة ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٦٣–٢٦٦ ، ٢٧٣.

[2] ينظر: نفسه ، ٤–٥ ، وكتاب دلائل الإعجاز ، ٨٥ –٨٦، ١٠٠–١٠٣ ، ٢٨٨–٢٩٠ ، ٣٧٠.

[3] ينظر: كتاب أسرار البلاغة، ٢٦٣،٢٩٣ ، وكتاب دلائل الإعجاز ، ٤٦٨–٤٧٣ ، ٤٨٣–٤٨٦ ، ٥٠٢ ، ٥٠٩.

– يحمل فهم الشّعر بوصفه تصويراً في نصّ عبد القاهر إقراراً بوحدة اللّفظ والمعنى ؛ فلا استقلال للصّورة عن المعنى ، وكلّ قول شعريّ هو –بالضّرورة– دالّ على معنى. لكنّ الحدّ الذي وضعه نصّ قدامة للشّعر بكونه قولاً موزوناً مقفًى يدلّ على معنى[1] قد يشي بخلاف ذلك ، ويجلو رؤية تفصل اللّفظ عن المعنى في الوجود. لكنّ الأهمّ –هنا– أن هذا الحدّ يجعل من الوزن والقافية ماهيّة للشّعر ، وحدّاً ينماز به من غيره من ضروب القول. على حين يُفهم من التّصوير في النصّ اللّاحق أن صنعة الشّاعر ، وتشكيله الصّور هو ما يكون به الشّعر شعراً. وبهذا نستطيع أن نلمس خللاً في رؤية نصّ قدامة لماهيّة الشّعر ، على حين كانت الرّؤية منسجمة في نصّ عبد القاهر الذي أعاد التّشكيل إلى النّظم جليّاً في الدّلائل ، ومضمراً في الأسرار[2]، ورأى التّخييل جوهر الشّعر[3].

– إذا تسامحنا في الفهم ، وذهبنا إلى أن الوزن والقافية في حدّ الشعر هما الإطار أو الشّكل الخارجيّ الذي تتشكّل به المعاني ، فإنّ نتيجتين تنجمان عن ذلك ؛ الأولى مفارقة الصّورة للمعنى في الوجود ؛ فالوزن والقافية في (نقد الشّعر) أشبه بإطار خارجيّ يحتوي المعنى ، أو حلية خارجيّة تُلصق به[4]. والأخرى هي نهائيّة صور المعاني وأشكالها ؛ بسبب محدوديّة الأوزان والقوافي ، وتعيين صلتها بالشّاعر بمجرّد تخيّر الوزن والقافية المناسبين للمعنى. وهذا ينافي القول بالتّصوير ، وتشبيه عمل الشّاعر بعمل النّجار الذي ينتج تشكيلات لا نهائيّة للمادّة المصنوعة ، يوجّه كلّ شكلّ منها إلى صانع بعينه.

– يدلّنا استقراء (نقد الشّعر) على أنّ نصّ قدامة لم يفصل بين اللّفظ والمعنى على نحو حادّ كما كانت الحال مع نصّ ابن قتيبة مثلاً ، إلا أنه لم يرقَ – في الوقت نفسه – إلى

[1] ينظر: نقد الشعر ، ٦٤.

[2] ينظر مثلاً : كتاب أسرار البلاغة ، ٥ ، ٢٤ ، ١٩٥ ، ٢٤٨.

[3] ينظر : نفسه ، ٢٦٥.

[4] نرى ذلك مثلاً في الكلام على عيوب ائتلاف اللفظ والوزن ، وعيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً ؛ ينظر: نقد الشعر ، ٢٠٦–٢٠٩ ، وجواهر الألفاظ ، ٣–٨.

تصوّر يوحّد بينهما على نحو جليّ لا لبس فيه. وكلامه –مثلاً– على ائتلاف عناصر الشّعر الأربعة (اللّفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية) يؤكّد ذلك ؛ فمع أنه تكلّم على كلّ عنصر على حدة ، فقد حاول النّظر إلى النصّ الشّعريّ من خلال تآلف هذه العناصر بعضها مع بعض[1]. وهذا – كما رأى كثيرون[2]– بفعل مرجعيّات النصّ التي يتّصل معها بصلاتٍ وشيجةٍ تحكم اللّاحق بفكر السّابق ومنهجيّته ؛ فقد اقتسر نصّ قدامة بفعل مرجعيّته المنطقيّة الواضحة هذه التّقسيمات ، وفكّك النصّ إلى عناصر مفردة ، ووضع حدّاً للشّعر يضبط هذه العناصر. على حين غفل بسبب سيطرة المرجعيّة الآنفة الذّكر ، وغياب نظيرتيها اللّغوية والنّحوية عن النّظر إلى الشّعر عبر العلاقات النّحوية التي تحكمه ؛ فمع إدراكه أنّ الشّعر صناعة لغويّة ، فإنّ طبيعة النّصوص التي ينبثق منها لم تمكّنه من ربط ذلك بالعلم الضّابط للّغة (علم النّحو) على النّحو الذي رأيناه في نصّ عبد القاهر مثلاً.

– لم يتنبّه نصّ نقد الشّعر على تأثير المقام في بناء النصّ الشعريّ ، كما غابت عنه الرؤية الجماليّة ، وانشغل عن إبراز الجانب النفسيّ بتقسيمات منطقيّة جافّة ، غافلاً عن صلة هذا الجانب بالتّصوير ؛ فالشّاعر يصوّر المعاني ويبني نصّه الخاصّ إبانةً عن ذاته ، وإظهاراً لمكنونات نفسه ، ورغبة في التّأثير في المتلقي من جهة أخرى. ومع أنّ النصّ أكّد تفاوت جودة الشّعر باختلاف براعة الشّاعر وحِذقه في صناعته[3]، فإنّ النّظرة المنطقيّة العقليّة الحادّة أبعدته عن ربط هذه الصّنعة بخصوصيّة الشّاعر، وأسلوبه الخاصّ.

---

[1] ينظر: نقد الشعر ، ٧٣–١٧٠.

[2] منهم: د. محمد عبد المنعم خفاجي محقّق (نقد الشعر) ؛ ينظر: نقد الشعر (مقدّمة المحقق) ، ٥٦–٥٨ ، ود.إحسان عباس ؛ ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، ١٨٩ وما بعدها ، ود. محمد زكي العشماوي ؛ ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، ٢٨٥.

[3] ينظر: نقد الشعر ، ٦٤–٦٥.

إنّ أهمّ ما يمكن استنتاجه من استقراء نصّ نقد الشّعر أنّ كلامه على تصوير المعاني لم يبلور رؤية جماليّة توحّد الشّكل والمادّة ؛ إذ يبقى الشّكل خارجيّاً يمكن فصله بيسرٍ عن المادّة . وهو في هذا يخالف جوهر التّصوير في نصّ عبد القاهر الذي وحّد بين الشّكل والمعنى حتى صحّ القول إنّ الشّكل فيه هو المعنى وقد تجلّى. وإذا كان النصّ الذي أثبتناه من نقد الشّعر يَدين بوجوده لتفاعل (نقد الشّعر) مع النّصوص المنطقيّة ، فإنّ الواضح أن النصّ المقصود هنا هو في الغالب نصّ الفارابي (٣٣٩هـ) الذي فهم المحاكاة بوصفها محاكاة خارجيّة ، مقترباً من الفهم الأفلاطونيّ للمحاكاة . ومن هنا فقد قرن الشّعر بالتّصوير ، متجاهلاً مقارنته بالموسيقا والرّقص في نصّ كتاب الشّعر لأرسطو (٣٢٢ق.م) ؛ ليغدو تلخيص نصّ الفارابي لكتاب أرسطو فهماً خاصاً له[1]. وعليه ، فإنّ علاقة نصّ عبد القاهر بسلفه الذي يستدعيه في كلامه على صور المعاني (نصّ نقد الشّعر) أقرب إلى تحويل النّقض الذي يقرّ المقولة ، ثمّ يختلف معها في الفهم، والتّفسير، والتّوظيف ، ومن ثمّ في تشبيكها مع مقولات النصّ الأخرى.

وهنا نشير إلى أنّ الرّبط بين الصّناعة الشّعريّة وغيرها من الصّناعات اليدويّة لا ينحصر في النّصوص ذات المرجعيّة الفلسفيّة ، وإن كانت هذه النّصوص هي الأبرز بهذا الخصوص ؛ نذكر منها نصوص: أبي تمام الطّائيّ(٢٣١هـ)، والجاحظ ، وقدامة بن جعفر ، والرّمانيّ ، وابن سينا ؛ فقد شبّه الشّعراء صُنع القصيدة بالنّسج والصّوغ وغيرها إظهاراً لبراعتهم ، وإحكام صنعتهم منذ الجاهليّة . ويكفي أن نستدلّ –هنا– بقول طرفة ابن العبد[2]:

خُذُوْهَا ، ذَوِيْ الأَلْبَابِ ، أَحْكَمَ نَسْجَهَا وَصَنَّفَهَا ، مُسْتَحْكِمُ القَوْلِ صَادِقُهْ

[1] ينظر: نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم (دراسة تطبيقية في شعر أبي تمام وابن الرومي والمتنبي) ، ٢٢–٢٥.

[2] ديوانه ، ١٧٤.

كما يلفتنا في هذا الخصوص كيفيّة تحويل نصّ عبد القاهر نصوص سابقيه ؛ إذ نجد أنّ هذا النصّ لا يستكين لسلفه حتى في حال موافقته ، ولا يسلّم بصحّته المطلقة ، بل يعيد قراءته مراراً، كاشفاً حُجبه ؛ ليبدأ فعل التّحويل من النصّ المحوّل نفسه ؛ ففي الاقتران الشّائع بين الشّعر وباقي الصّناعات يلفت نصّه إلى فرق متعلّق بطبيعة المادّة ؛ ففي النّسج والصّياغة يمكن أن تتطابق صورتان يُنشئهما صانعان مختلفان ، يقتفي أحدهما أثر الآخر دون أن يميّز الرّائي بين الصّورتين . أمّا في الكلام ، فالأمر محال ؛ إذ لا إمكانية لتساوي صورتين لمعنى واحد إلّا عند إعادة القول نفسه[1]. ومن هنا فإنّ المعاني تُشهر بصورتها ، وتُنسب إلى قائل بعينه.

خاتمة:

سعى هذا البحث إلى تقديم شاهدٍ على فاعليّة التناصّ في قراءة النصّ النقديّ وتأويله، محاولاً لفت الانتباه إلى خصوبة هذا الحقل المعرفيّ المهمل، وتأكيد الصّلة بين جدّة الأداة المعرفيّة وفاعليّة القراءة.

ويمكن القول –ختاماً– إنّ القراءة السّابقة أيقظت نصوصاً انطوى عليها نصّ عبد القاهر وتناصّ معها بعلاقات مختلفة ، وعالجت التناصّ بين نصّ عبد القاهر من جهة ونصّين آخرين استحضرهما في كلامه على صورة المعنى من جهة أخرى ؛ هما : نصّ الجاحظ ، ونصّ قدامة بن جعفر ؛ فكشفت عن ضربين مختلفين من التّفاعل النّصيّ. فقد بدا نصّ الجاحظ مركزيّاً في النصّ الجديد ، جليّ الحضور ، تحضر مقولته حول التّصوير وصورة المعنى بهويّة شديدة القرب إلى هويّتها الجديدة ؛ إذ يبدو التّحويل الذي أحدثه النصّ الجديد طفيفاً يناسب أيديولوجيّته الخاصّة المنبثقة من مرجعيّات نصيّة متنوّعة. لكنّنا – مع ذلك – لم ننتهِ في التّحليل إلى إقرار خضوع اللّاحق للسّابق في هذه

[1] ينظر: كتاب دلائل الإعجاز ، ٢٦٠–٢٦١.

العلاقة النّصيّة ، بل نسبنا إلى نصّ عبد القاهر الذي نقل صورة المعنى– دالّاً ومدلولاً– من نصّ الجاحظ فضيلة التّأصيل والتّوسيع ؛ خاصّة أنّ النّصوص الأخرى أحدثت قطيعة مع نصّ الجاحظ في القضية المذكورة. وفي التّفاعل مع نصّ قدامة بن جعفر مكّنتنا القراءة التناصيّة من سبر أغوار النّصّين المتفاعلين ؛ لتتكشّف علاقة أخرى يتماثل فيها السّطح، ويختلف اللّاحق مع السّابق ويعاكسه في العمق ؛ فالنّصان يقرّان التّصوير، بيد أنّ مفهومه مختلف بين النّصين ، كحال تشبيكه بمقولات النّصّين الأخرى.

وبعد ، فهذه المحاولة قراءة غير نهائيّة لصورة المعنى في نصّ عبد القاهر الجرجانيّ، وهي واحدةٌ من قراءات متعدّدة ، قد لا تلغي صحّة إحداها صواب الأخرى ؛ فالباب ما زال مشرّعاً على قراءاتٍ أخرى تناقد هذا النصّ النّقديّ الغنيّ ، أو تتخيّر سبر أغوار غيره.

المصادر والمراجع:

1– الأصفهاني ، الرّاغب ، (د.ت) – **المفردات في غريب القرآن.** أعدّه للنشر ، وأشرف على الطّبع: د. محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 851.

2– ألان ، جراهام ، 2011م – **نظريّة التناصّ.** ترجمة: د. باسل المسالمه ، دار التّكوين، ط1. دمشق ، 318.

3– الجاحظ ، عمرو بن بحر، 1998م – **البيان والتبيين.** ج1+ج٣+ج4 ، **تحقيق: عبد السّلام محمد هارون** ، مكتبة الخانجي، ط7 . مصر ، ج1(412) ، ج٣(٣٧٨) ، ج4(339).

4- الجاحظ ، عمرو بن بحر، 1965م – **كتاب الحيوان** .ج1+ج٣+ ج4+ ج6 ، تحقيق: عبد السّلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط2. مصر ، ج1(428) ، ج٣(٥٤٨) ، ج4(503) ، ج6(515).

5-الجاحظ ، عمرو بن بحر ، 1991م- **رسائل الجاحظ**. ج١+ ج3 +ج٤، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون ، دار الجيل ، ط1. بيروت ، ج١(٣٩٣) +ج3 (351) + ج٤ (٤٢٤).

6- الجرجاني ، عبد القاهر ، 1991م –**كتاب أسرار البلاغة**. تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ودار المدني ، ط1. القاهرة وجدّة ، 403.

7- الجرجاني ، عبد القاهر ، 1992م – **كتاب دلائل الإعجاز** . تحقيق: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ودار المدني ، ط3. القاهرة وجدّة ، 684.

8- ابن جعفر ، قدامة ، 1932م – **جواهر الألفاظ**. تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، ط1. مصر ، 452.

9- ابن جعفر ، قدامة ، (د.ت) – **نقد الشعر** . تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 216.

10- الرّماني ، والخطّابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، (د.ت) – **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**. تحقيق: محمد خلف الله ، و د.محمد زغلول سلّام ، دار المعارف ، ط3 . مصر ، 230.

11- صبحي ، أحمد محمود ، 1985م – **في علم الكلام (دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلاميّة في أصول الدّين).** ج2(الأشاعرة) ، دار النّهضة العربيّة ، ط5. بيروت ، 396.

12- طاليس ، أرسطو ، 1993م – **في الشّعر .** تحقيق: د. شكري محمد عيّاد ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب . مصر ، 293.

13- عبّاس ، إحسان ، 1983م – **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري.** دار الثقافة ، ط4 . بيروت ، 657.

14- ابن العبد ، طرفة ، 2000م – **ديوانه.** شرح الأعلم الشّنتمري ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة ، تحقيق: درية الخطيب ، ولطفي الصّقال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ودائرة الثقافة والفنون ، ط2. بيروت والبحرين ، 378.

15- العشماوي ، محمد زكي ،1979م – **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث.** دار النّهضة العربية ، ط1. بيروت ، 445.

16- ابن فارس ، أحمد ، – **معجم مقاييس اللّغة.** ج3 ، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر ، 478.

17- قصبجي ، عصام ، 1980م – **نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم (دراسة تطبيقية في شعر أبي تمام وابن الرومي والمتنبي).** دار القلم ، ط1. دمشق ، 376.

18- مجموعة من المؤلّفين ، 2013م –**آفاق التّناصيّة (المفهوم والمنظور) .** تعريب وتقديم: محمد خير البقاعي ، جداول، ط1. بيروت ، 247.

19- ابن منظور ، (د.ت) – **لسان العرب.** تحقيق: عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف . القاهرة ، 4978.

- الدّوريّات:

1- موزاي ، ليلى بيرون ، 2005م- **التّناص النّقديّ .** ترجمة: سعيد بن الهاني ، نوافذ، العدد 34 ، السّعوديّة ، 283.

The Arabic references in English:

1-Abbas, Ihsan, 1983 - **A history of literary criticism of the Arabs (critique of poetry) from the second century until the eighth century**. Athakafh publishing , 4th edition. Beirut, 657.

2-A group of authors, 2013 - **Horizons of intertextuality (concept and perspective)**. Translated by: Muhammad Khair Al-Beqai, , 1st edition. Beirut, 247.

3-Al-Asfahani, Al-Ragheb, **Vocabulary in the strange Qur'an**. Investigated by: Dr. Muhammad Ahmad Khalaf Allah, The Anglo-Egyptian Library, 851.

4-Al-Ashmawi, Muhammad Zaki, 1979 - **Issues of literary criticism between ancient and modern**. Al-nahda Al-Arabiya publishing , 1st edition. Beirut, 445.

5-Al-Jahidh, Omr ben Bahr, 1998-**AL-bayan wa al-ettabyine**. Investigated by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji publishing, 7th edition. Egypt, part 1(412), part 3 (378), part 4 (339).

6-Al-Jahidh, Omr ben Bahr, 1965 **– Al –Haiwan**. Investigated by: Abdel Salam Haroun, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press, 2nd edition. Egypt, part 1 (428), part 3 (548), part 4 (503), part 6 (515).

7-Al-Jahidh, Omr ben Bahr, 1991- **Al-Jahidh letters**. Investigated by: Abdel Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Jeel, 1st edition. Beirut, part 1 (393) + part 3 (351) + part 4 (424).

8-Al-Jurjani, Abdel-Qaher, 1991.**Rhetoric Secrets**. Investigated by: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Publishing, 1st edition. Cairo and Jeddah, 403.

9-Al-Jurjani, Abdel-Qaher, 1992 - **The Miracle Signs " Dala'el - Al-Ejaz"**. Investigated by: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-

Madani publishing and Dar Al-Madani, 3rd edition. Cairo and Jeddah, 684.

10-Allen, Graham, 2011 - **Intertextuality Theory**. Translated by: Dr. Basil Al-Masalmeh, Dar Al-Takween, 1st edition. Damascus, 318.

11-Al-Rumani, Al-Khattabi, and Abdul-Qaher Al-Jurjani, **Three studies of Qur'anic miracle**. Investigated by: Muhammad Khalaf Allah, and Dr. Muhammad Zaghloul Salam, Dar Al-Maaref, 3rd edition. Egypt, 230.

12-Iben al-Abed, Tarfa, 2000 – **Diwan Tarafa** . Investigated by: Doriya Al-Khatib, Lotfi Al-Saqal, The Arab foundation for studies and publishing, and the department of culture and arts, 2nd edition. Beirut and Bahrain, 378.

13-Iben Faris, Ahmad, **A Dictionary of Language Standards**. Investigated by: Abdel Salam Muhammad Haroun Al-fikr publishing , 478.

14-Iben Jaafar, Qudamah, 1932 - **The jewels of words**. investigated by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Al-khanji publishing, 1st edition. Egypt, 452.

15-Iben Jaafar, Qudamah, **Criticism of poetry**. Investigated by: Muhammad Abdel-Moneim Khafaji, Al-Kutub al-Ilmiyya publishing, Beirut, 216.

16-Iben Manzor, **The Arab Tung**. Investigated by: Abdullah Ali - Al-Kabeer, Muhammad Ahmad Hassaballah, and Hashem Muhammad Al-Shazly, Al –maaref publishing, 4978.

17-Qasabji, Essam, 1980 - **Theory of Simulation in ancient Arabic criticism**. Al-Qalam publishing, 1st edition. Damascus, 376.

18-Sobhi, Ahmed Mahmoud, 1985- **Ilm al-kalam (a philosophical study of the views of Islamic sects in the origins of religion)**. Al-nahda al-arabiya publishing, 5th edition. Beirut, 396.

19-Thales, Aristotle, 1993- **In Poetry**. Investigated by: Dr. Shukry Mohamed Ayyad, general egyptian book organization. Egypt, 293.

Journals:

1-Mozay, Laila Beron, 2005 - **Critical Intertextuality**. Translation by: Saeed ben Al-Hani, Nawafidh , No. 34, Saudi Arabia, 283.

التّقديم والتّأخير في نماذج من روميّات أبي فراس الحمدانيّ

د. مصطفى نمر *

ميساء شيخ خميس **

ملخّص

الشّعر فنّ اللعب باللّغة ، وحُسن توظيفها ، ولاسيّما في ميدان الشّعر ، وعندما نرغب بدراسة هذا النّوع من اللّغة فإنّه يفترض بنا دراسة هذا النّمط من اللّغة الشّعريّة استناداً إلى حركيّة المركّب النّحويّ ، في المستوى البلاغيّ ، مُستخدمين تقنية التّحليل النّصّيّ ، وذلك كي لا نُكرّر المُكرَّر ، فالمادّة النّظريّة متكرّرة كثيراً ، أمّا الدّراسة التّحليليّة فحمّالة أوجه ، متعدّدة الأذواق ، ومن هنا سنقف على موضوع العدول باستخدام تقنية التّقديم والتّأخير في نماذج من روميّات أبي فراس الحمدانيّ ، وذلك في محورين ؛ الأوّل : التّقديم والتّأخير في المركّب الاسميّ، والثاني: التّقديم والتّأخير في المركّب الفعليّ ، ثمّ قدّمنا النّتائج التي توصّل إليها البحث بصورة موجزة ، وينتهي البحث بثبت للمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحيّة : العدول ، التّقديم ، التّأخير ، العدول .

* أستاذ البلاغة وموسيقا الشّعر في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة .

** طالبة دراسات عليا – ماجستير ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة .

Presentation and Delay in Examples of Abi Firas Al-Hamdani's Romans

Pr. Mustafa Nemer *

Maysa Sheikh Khamis **

Abstract

Poetry is the art of playing with language and making good use of it, especially in the field of poetry. Theoretical material is repeated a lot, but Analytical study has many facets, with many tastes, and from here we will stand on the issue of reversal using the technique of introduction and delay in models from Abi Firas Al-Hamdani's romances, and that is in two axes; The first: introduction and delay in the nominal compound, and the second: presentation and delay in the actual compound, then we briefly presented the results of the research, and the research ends with a list of sources and references.

Keywords: reversal, submission, delay, reversal.

* Professor of Rhetoric and Poetry Music in the Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Lattakia.

** Postgraduate Student - MA, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Lattakia

أهمِيّة البحث :

تتأتّى أهمِيّة البحث من كونه يتناول بالدّراسة جانباً من شعر أبي فراس الحمدانيّ ، وهو الشّعر الذي قاله في الأسر ، وأطلق عليه اسم (الرّوميّات) ، وذلك عبر دراسة جانب بلاغيّ جماليّ هو التّقديم والتّأخير الذي يُضفي على النّصّ رونقاً وحلاوة خاصة .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة التّقديم والتّأخير بوصفها من أهمّ أشكال العدول التّركيبيّ وتجلّياتها في نماذج من روميّات أبي فراس ، وبيان تأثير العدول في صناعة الشّعريّة ، وبيان تمظهرات التّقديم والتّأخير في المركّب الاسميّ ومن ثمّ في المركّب الفعليّ .

الدّراسات السّابقة :

هناك كثير من الدّراسات التي درست شعر أبي فراس الحمدانيّ ، منها :

- سجنيّات أبي فراس الحمداني – دراسة أسلوبيّة ، وهي رسالة ماجستير من إعداد الطّالب نبيل قوّاس ، وإشراف د. محمّد منصوري ، نوقشت في الجزائر ، جامعة الحاج لخضر – باتنة ، عام 2009 م .
- روميّات أبي فراس الحمداني – دراسة جماليّة ، رسالة ماجستير إعداد فضيلة بن عيسى ، إشراف أ. د. محمّد زمري ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان ، الجزائر ، 2004 م .
- دراسة أسلوبيّة في شعر أبي فراس الحمداني ، رسالة ماجستير إعداد نهيل فتحي أحمد كتانة ، إشراف د. خليل عودة ، جامعة النّجاح الوطنيّة ، فلسطين ، 2000 م .
- التّقديم والتّأخير في شعر العصر العبّاسي الثّاني – ديوان أبي فراس أنموذجاً ، رسالة ماجستير إعداد عبير عبد الصّاحب جاسم ، إشراف د. تحرير محمّد مناحي الرّفيعي ، جامعة بغداد – العراق ، 2011 .
- التّشكيل اللّغويّ في شعر السّجن عند أبي فراس الحمدانيّ ، د. عبّاس علي المصري ، مجلّة جامعة الأقصى ، فلسطين ، سلسلة العلوم الإنسانيّة ، المجلّد 13 ، العدد1 ، 2009 .

منهج البحث :

سنعمد في هذا البحث إلى الخوض في غمار التّحليل النّصِّيّ ، على وفق المنهج الوصفي بأدواته الأسلوبيّة الذي يتيح لنا الكشف عن هذا اللون من العدول ، وتصنيف ظواهره ودراستها ، مُستخدمين هذه التّقنيات بوصفها مداخل إجرائيّة نصِّيّة في عمليّة التّحليل .

مقدّمة :

إنّ تركيب أجزاء الكلام وتشكيله النّصّيّ يخضع لمؤثّرات مختلفة المصدر ، ينبع بعضها من النّظام النّحويّ والبناء المعياريّ للبنية اللغويّة ، وينبع بعضها الآخر من أشكال العدول وتجلّياته المتنوّعة ، فالمبدع يُدرك بشكل بديهي أنّ الإبداع النّصيّ يستلزم " أن تنحو معرفة كيفيّة التّركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى ، وفقاً للمقاييس والقوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب " [1] ويستلزم أيضاً أن يستفيد من مرونة اللغة في مطاوعتها للفكر والإبداع ، متى يوظّف هذه المرونة للهروب من دائرة المعياريّة إلى دائرة العدول ، ومن ثمّ الشّعريّة ، وهذا ما أكّده الإمام عبد القاهر الجرجاني إذ يقول : " إنّ الألفاظ لا تفيد حتّى تؤلّف ضرباً خاصّاً من التّأليف ، ويُعمد بها إلى وجه دون وجهٍ من التّركيب " [2] فدلالات المعاني وإيماءاتها تأتي من خلال تجاوز المألوف من التّراكيب اللغويّة ، وأبواب المعاني التي " يمتنع فيها إجراء الكلام على الأصل ، هي أبواب تقوم أساساً على العدول في اللغة عن مستوى استخدامها المألوف " [3] .

وانطلاقاً من هنا فإنّ لغة الأدب وشعريّته تنطلق من هذا المنطق العدولي ، " فمادّة النّصّ الأدبيّ تتشكّل من نظام خارج عن المألوف ، وكلّ ما هو خارج عن المألوف يستوقف دارس النّصّ " [4] ، فالأدبيّة أو الشّعريّة تتبع من معانقة التّراكيب المميزة العناصر الأخرى ، وما يتجلّى عن ذلك من جمالٍ لغويّ من خلال ارتباط مكوّنات السّياق الشّعريّ بطريقة الانتقاء الخاصّ .

---

[1] مفتاح العلوم ، السّكّاكي ، شرح نعيم الزّرزور ، بيروت ، 1983م ، ص75 .

[2] أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدّة ، ص4 .

[3] البلاغة والأسلوبيّة، د. محمّد عبد المطلب، مكتبة لبنان – ناشرون ، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر ، لونجمان ، ط1 ، 1994 م ، ص270 .

[4] تأصيل الأسلوبيّة في الموروث النّقدي والبلاغيّ ، مصطفى حميدة ، رسالة ماجستير ، فلسطين ، نابلس ، 2006م ، ص47 .

ويُقصد بالخلق الخاصّ ها هنا المقدّرة على توظيف إمكانات اللغة المعياريّة ، ومن ثمّ ما ينزاح عنها على نحو يقوّي معطيات السّياق، ويمنح الدّلالات داخل هذا السّياق القدرة على التّفاعل لخلق الجماليّ والشّعريّ ، وعلى طريق الإبداع فتفاعل هذه الدّلالات داخل السّياقات يعكس البعد الجماليّ لحركيّة النّحو " فالظّاهرة النّحويّة ليست أداةً أو صورة محسّنة ، ليست زينة أو طلاءً أو تلويناً ، وإنّما هي خالقة لمعناها ، هي موقف حيّ يتفاعل باستمرار مع المواقف الأخرى التي يتضمّنها السّياق " [1] .

وهذه الحركيّة النّحويّة تتجلّى في لغة الإبداع الشّعريّ ، فالشّعر بالمحصّلة هو فنّ استعمال اللّغة ، وحسن توظيفها بما يولّد المعاني ويخصّب الدّلالات .

وهذا يفرض علينا أن ندرس هذا النّمط من اللغة (اللغة الشّعريّة) بالاستناد إلى حركيّة هذا النّحو الذي بُنيت عليه ، والتي تتمظهر على المستوى البلاغي ضمن تقنيّات وفاعليّات متداخلة ومتقاطعة ، وهذه التّقنيّات والفعاليّات هي " التي تعدّل المفاهيم أو تعمل على هدمها أو تخلق منها ما تشاء " [2] .

وسنعمل في هذا الجزء من بحثنا على الخوض في غمار التّحليل النّصيّ مستخدمين هذه التّقنيّات والفعاليات كمداخل إجرائيّة نصيّة في عمليّة التّحليل ، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّنا لا نكتفي بهذه الأدوات في الكشف عن شعريّة النّصّ المتحققة عبر هذه المداخل القائمة على العدول بل نحاول أن نبحث عن تقاطعات هذه التّقنيّات والأدوات مع المكوّنات النّصية الأخرى ؛ إذ إنّ إثبات دور البنى العدوليّة على مستوى التّركيب يكون عمليّةً غير مكتملةٍ إذا ما تمّ دراسة هذه البنى المتمظهرة بقوالبها التي ذكرنا أنّها تقنيّات أسلوبيّة ومداخل إجرائيّة للولوج إلى النّصّ وبيان تأثير العدول في صناعة الشّعريّة دون الاكتراث بما يُكمل حركة هذه التّقنيّات ، فالتّقديم والتّأخير أو الحذف أو الاعتراض أو الالتفات أو الفصل ليست سوى مظاهر لا تؤدّي غرضها إلاّ في خضمّ بحر النّصّ في مكوّناته المتنوّعة .

فالنّظر إلى هذه الأشكال البلاغيّة للعدول التّركيبي في أي تجربة شعريّة ينبغي أن يؤخذ بالحسبان، وكون هذه الأشكال متولّدة عن العدول التّركيبي على المستوى البلاغيّ لا ينفي أنّها في الآن ذاته تراكيب تقوم على وفق بنية صوتيّة وصرفيّة ونحويّة مستقاة من بنية النّصّ

[1] نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي ، د. تامر سلّوم ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، ط1 ، 1983م ، ص145 .
[2] المرجع السّابق ، ص155 .

الكبرى ، وعليه فهي ليست سوى جزء من فسيفساء النّصّ الكليّ ولا قيمة لأيّ جزء منها تركيبيّاً أو جماليّاً أو شعريّاً إلاّ في سياق البنية الكليّة للنّصّ .

1- التّقديم والتّأخير :

يعدُّ التّقديم والتّأخير أحد أبرز المظاهر الأسلوبيّة التي يحقّقها العدول في ممارسته على الكلمة ، فالكلمة هي جزء من بنية التّركيب ، تذوب الكلمة في كيميائه عبر تفاعلها مع بقيّة البنى المجاورة ، وفي هذا الفنّ يقوم المبدع بمخالفة تراتبيّة نحويّة معياريّة ، كان من المفترض أن يُبنى النّصّ على أساسها ، فالتّقديم والتّأخير هو عدول على مستوى التّرتيب المعياري لمكوّنات الجملة بنوعيها (الفعلي والاسمي) فالأصل في الفعليّة هو التّرتيب الآتي : فعل + فاعل + متمم ، في حين أنّ الأصل في الاسميّة هي أن يأتي المبتدأ يليه الخبر على النّحو الآتي : مبتدأ + خبر + متمم .

وعليه فإنّ التّقديم والتّأخير هو مخالفة عناصر التّركيب القواعدي الأصلي الأوّل في السّياق ، فيتقدّم ما الأصل فيه أن يتأخّر ، ويتأخّر ما الأصل فيه أن يتقدّم ، والحاكم للتّرتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان التّركيب لازماً أو غير لازم .

فالأصل (الرّتبة المحفوظة) هو النّحو في صورته المعياريّة أمّا العدول الذي يسحب من التّركيب نحويّته فهو محور الاهتمام " لأنّه هو الذي يعطي المتكلّم أو الكاتب أو الشّاعر حريّة في التّعبير " [1] .

وقد نظر البلاغيّون إلى هذا النّمط من العدول القائم على تبديل المواقع للوحدات المعجميّة في البناء التّركيبي على أنّه أحد صور شجاعة اللغة وقوّتها[2] .

وقد فصّل (الجرجاني) في هذه العلاقة النّاشئة عن العدول التّراتبي (التّقديم والتّأخير) ورصد أنواعه وأشكاله وتمظهراته وفوائده المتنوّعة ، فوجد أنّ ثمّة شكلين لهذه الظّاهرة الأسلوبيّة هما :

---

[1] نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثّاني والثّالث للهجرة، د. مصطفى جطل، مطبعة جامعة حلب ، 1980 ، ج498/2 .

[2] الخصائص ، ابن جنّي ، تح: محمّد علي النّجّار ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان، ج362/2 .

أ- **تقديم على نيّة التّأخير:** وذلك كلّ شيء أقررته مع التّقديم على حكمه الذي كان عليه ، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل : منطلقٌ زيد ، ضرب عمراً زيداً .

ب- **تقديم لا على نيّة التّأخير:** ولكن على أن تنقل الشّيء عن حكم إلى حكم ، وتجعل له باباً غير بابه ، وإعراباً غير إعرابه ، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ منهما أن يكون مبتدأ ، ويكون الآخر خبراً له . فتقدّم تارة هذا على ذلك ، وأخرى ذلك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق ؛ إذ تقول مرّة : زيد منطلق ، وزيد المنطلق ، وأخرى المنطلق زيدٌ [1] .

فيكون لك في ظلّ واحد من هذه الأحوال عرض خاصّ وفائدة لا تكون في الباقي .

إنّ أسلوب التّقديم والتّأخير يتنوّع وتتغيّر دلالته تبعاً لتغيّر السّياق وتنوّع المقام ، فالتّراتبيّة النّحويّة لا يمكن أن يطرأ عليها أي تغيير إلاّ لغاية معنويّة وهدف دلاليّ ، ومن ثمّ لغاية شعريّة وجماليّة على المستوى العميق من الدّلالة .

وعليه فإنّ التّقديم والتّأخير لا ينحصر دوره كما ذهبت بعض الآراء المحدودة في إبراز العناية بالمتقدّم فحسب ، بل هو أيضاً يكمن في كونه إجراء بنيويّاً اختياريّاً ينفتح على جملة من المعاني النّحويّة الدّقيقة التي يجد فيها المتكلّم البيان الكافي بما يحصل به التّفاوت والتّباين ، ويجد فيها السّامع الفهم الدّقيق والمتعة الرّائعة ، والخروج عن رتبة الجملة " يمثّل نوعاً من الخروج عن اللغة النّفعيّة إلى اللغة الإبداعيّة " [2] ، ومن هذا الإجراء القائم عن خلخلة الوضع التّراتبي للجملة تنتج عمليّة التّجاذب بين الثّابت الذي يمثّل التّرتيب المعياري ، والمتغيّر الذي تمثّله عمليّة التّقديم والتّأخير ، وهذا التّجاذب يحفّز الذّهن المتلقي إلى الكشف عن الغايات والدّلالات والجماليّات والأنساق عبر التّحليل ، والبحث عن البنية الفكريّة التي بنت هذه العمليّة الأسلوبيّة ، وعليه فالتّقديم والتّأخير بنية فكريّة قادرة على احتواء عمق فكريّ من جهة وتجربة شعوريّة من جهة أخرى " فالتّقدّم له درجات يحكمها العقل ؛ كتقدّم العلّة على المعلول في مثل تقدّم الكون على الكائنة ، والعلم على العالميّة ثمّ التّقدّم

[1] ينظر : دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، قرأه محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص106-107 .
[2] البلاغة والأسلوبيّة، د. محمّد عبد المطلّب، ص329 .

بالذّات " [1] ، ولكنّ ليس العقل هو المتحكّم الوحيد بالخلق والتّلقّي الشّعري وحدّة فالعاطفة أيضاً تمارس دورها في هذا السّياق ولذلك يصبح " من المثمر على المستوى البلاغيّ أن نقيم تمييزاً بين النّظام العقلي والنّظام العاطفي للكلمات " [2] .

فالمبدع يُشبع النّصّ من فكره وشعوره ، ويمارس عبر تقاطعات فكره وخياله وشعوره عنفه اللطيف تجاه تراتبيّة اللغة في أشكال متنوّعة أبرزها التّقديم والتّأخير .

وبناء على كلّ ما تقدّم نقف عند ظاهرة التّقديم والتّأخير بوصفها من أهمّ الظّواهر الأسلوبيّة المؤثّرة في بناء النّصّ وتحقيق سمته الشّعريّة ، لما تمنح الشّاعر من مرونة لغويّة ، وهامش من الحريّة يسمح له بتغيير رتب الكلام لتخدم أبعاد نصّه الفكريّة والجماليّة وتعدّ هذه الظّاهرة كما ذكرنا من أبرز ظواهر العدول في التّركيب اللغويّ ، وهو يقوم بوظيفة جماليّة باعتباره ملمحاً أسلوبيّاً خاصّاً .

إنّ أهميّة التّقديم والتّأخير تكمن في دورها في تخصيب الوظائف النّحويّة للاختيارات المتحقّقة في كيفيّات الصّياغة التّصويريّة ، ولا نقصد بالتّقديم والتّأخير هنا فقط تلك الظّاهرة اللغويّة ؛ إذ إنّها من أكثر الظّواهر استجابة لمتطلّبات نفسيّة وفكريّة تقف وراءها فتحرّكها نحو هذه الصّياغة أو تلك ، لتمثّل التّجربة بأبعادها المختلفة .

وقد أدرك الجرجاني أهميّة هذه الظّاهرة ، وأعلى من شأنها ولاسيّما في ميدان الشّعر حيث رأى فيها باباً " كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التّصرّف وبعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي لك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيئاً ، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان " [3] .

ومن هذا القول نستطيع أن نتبيّن الفهم العميق للجرجاني لماهيّة هذه الظّاهرة وتأثيرها في المتلقّي على المستوى الموسيقي والدّلالي والشّعريّ ، فالجرجاني يُدرك أسلوبيّة هذه الظّاهرة ومراميها وأساس الكشف عن جمال الشّعر عبر تقنيّات اللّغة .

---

[1] المرجع السّابق ، ص273 .

[2] بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، د. صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ع 164 ، أغسطس–آب ، 1992م ، ص78 .

[3] دلائل الإعجاز ، الجرجانيّ ، ص106 .

وقد قادت قراءة روميّات أبي فراس الحمداني إلى الكشف عن أنواع محدّدة من التّقديم والتّأخير ذات تواتر مختلف في تجربة العلامة وهي :

أ- التّقديم الاسمي (إبراز الأهميّة للمقدّم) :

عندما يسعى الشّاعر لإبراز الأهميّة عبر تقديم الحال لا يُقصد بذلك تخصيص هذه الأهميّة بشخص أو بفعل بل يُراد من خلالها تقديم بنية فكريّة أو ثقافيّة أو دلاليّة لغايتين : الأولى : عصف ذهن المتلقّي وشغله بالمتقدّم ، وسعيه للكشف عن الغاية من تقدّمه ، والثّانية تعميم تفوّقه على المتأخّر بحكم التّنكير الذي يرافق البنية التّشكيليّة للحال ، ومن يقرأ روميّات أبي فراس الحمداني يقف مباشرة بوضوح على ظاهرة تقديم الاسم ، وتقديم الاسم إنّما يتمّ لغايات دلاليّة متنوّعة أبرزها يُستقى من التّوتر النّاتج من التّقابل بين دلالة الثّبات التي تفرضها الاسميّة ، ودلالة التّحوّل الذي تحمله في أطوائها عمليّة التّقديم والتّأخير .

ونقرأ هذا التّوتر بين دلالتي الثّبات والتّحوّل ضمن أساليب متنوّعة في روميّات أبي فراس، ومن أبرزها أسلوب الاستفهام ، على نحو قوله [1] (من مجزوء المتقارب) :

وَمَـــــاذَا القُنُـــــوطُ الـــــذِي أَرَاهُ فَأَسْتَشْـــــــــــــــــعِرُ ؟

إذ يُقدّم الشّاعر في هذا البيت اسم الاستفهام (ماذا) على المبتدأ المؤخّر (القنوط) ؛ ليبرز دلالة لتقرير الفاعل وإبرازه وإظهار أهمّيّته عبر تقديم السّؤال عنه ، فمن المعلوم أنّ اسم الاستفهام يُضمر فعلاً محذوفاً هو (اسأل) ، والسّؤال لا ينمّ إلاّ عمّا يُثير الأهمّيّة ، والأهمّيّة هنا قد تحمل معنيين ، فمنها : أهمّيّة لما هو إيجابي يُراد إبرازه ، ومنها أهمّيّة لما هو سلبي يُراد استنكاره ، وهذا ما يُريد الشّاعر إبرازه في سياق هذا البيت ، فالشّاعر يُقرّر أنّ (القنوط) هو الذي يحفّزه على نظم الشّعر ، وإذا كان (القنوط) ؛ أي التّراخي والاستسلام سبب نظم الشّعر ، فمن الطّبيعيّ ومن البديهي أن يكون هذا الشّعر استنكاراً على مصدر هذا القنوط وعلى ممارسيه، ولعلّ تعريف المؤخّر (القنوط) بما يوحيه هذا التّعريف من التّحديد والتّعيين ، يُؤكّد غاية التّقرير ؛ أي تقرير أهمّيّة المُقدّم (الاستفهام الاستنكاريّ) الملائم لسياق التّراخي والقنوط

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح د. خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1414 هـ – 1994 م ، ص166 .

القنوط : اليأس .

المُسبِّب للشّعر الذي كان سلام الشّاعر في محاولته استفزاز مصدر هذا القنوط ، ودفعه نحو التّحرّك من أجل تحريره .

وقد أكّد الجرجانيّ الغرض من تقديم الاسم في أسلوب الاستفهام في قوله : " وإذا قلتَ : أأنتَ فعلتَ ؟ فبدأت بالاسم كان الشّكّ في الفاعل من هو ، وكان التّردّد فيه ، واعلم أنّ هذا الذي ذكرت لك في الهمزة ، وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتّقرير ، فإذا قلت : أنت فعلت ذاك ؟ كان غرضك أن تقرّره بأنّه الفاعل " [1] .

ويُؤكّد الحمداني عبر تقديم أسماء الاستفهام وتأخيرها في غير موضع من ديوانه استنكاره وتحفيزه لسيف الدّولة لتغيير سلوكه تُجاه سجنه وأسره ، فعندما يقول [2] (من مجزوء الكامل) :

أَيْـــــنَ المَحَبَّـــــةُ ، وَالـــــذِّمَا مُ وَمَـــا وَعَـــدْتَ مِـــنَ الجَمِيْـــلِ ؟

فإنّما يستخدم تقديم اسم الاستفهام (أين) ويعدل به عن دلالة السّؤال والاستفهام إلى دلالة النّفي ، والنّفي ها هنا تعريض واتّهام بادّعاء ، ففقدان هذه المحبّة وذاك الذّمام وتلك الوعود هو المحرّك للاستفهام الذي أُريد منه ذمّ سيف الدّولة والتّعريض به ، فعندما يُسأل عن هذه الأمور التي أُخّرت في البنية التّرتيبيّة للجملة إنّما يُراد منها إبراز انعدامها ، وانعدامها يشي بعدم صدق مَن حاول بثّها أو ادّعى امتلاكها ، ولعلّ أبا فراس يقول لسيف الدّولة : أنت لا تحمل لي شعور الحبّ ولا تفي بوعودك ، فكان الاستفهام أخفّ وطأةً من النّفي الصّريح ، وبذلك يترك الحمدانيّ طريقاً للعودة ، فلا يصدح بالذّمّ ، ولكنّه يكتنزه في طاقات تقديم الاستفهام ، ويستفيد من نسقه الظّاهر الموحي بالحاجة إلى سيف الدّولة ، فتقديم الاستفهام هنا انطوى على نسقين : أحدهما ظاهر سطحي يُشير إلى ضعفٍ لرجلٍ أسير (الشّاعر) ، وحاجة إلى من يحمل مشاعر حبٍّ قادرة على مساعدته الفعليّة ، وهنا يظهر الشّاعر ضعيفاً ، بَيدَ أنّ المعنى الثاني العميق يجرّد الآخر (سيف الدّولة) من صفات أهمّها الصّدق في الوعود والمحبّة ، وهذا يشي بإمكانيّة استغناء الشّاعر عن هذه الصّفات على اعتبار أنّها صفات غير موجودة ، وهنا ينتقل

[1] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص111 .

[2] ديوان أبي فراس الحمداني ، ص274 .

الذّمام : العهد والأمان والحرمة .

الشّاعر من ميدان الضّعف واستجداء العطف إلى ميدان القوّة والقدرة على التّحمّل ، فضلاً عن مواجهة سيف الدّولة ، وهنا تنتقل صفة الضّعف من الشّاعر إلى سيف الدّولة .

ومن ذلك أيضاً قوله مُجرّداً سيف الدّولة من كلّ قيمة ورفعة ، مُستغلاً قدرة تقديم الاستفهام عبر اسمه (أين) على منح الدّلالة ازدواجيّة ؛ إحداها تُؤمّن له دلالات الاستعطاف ، وشحذ همّة المُستعطف (سيف الدّولة) ، والأخرى تُؤمّن له دلالات القوّة التي تساعده وتقوّي موقفه ، وتُغطّي ضعفه وتبرز حقيقة موقفه من سيف الدّولة حين يقول [1] (من المنسرح) :

أَيْــنَ المَعَــالِي التــي عُرِفْــتَ بِهَــا تَقُولُهَـــــا دَائِمَـــــاً وَتَفْعَلُهَـــــا ؟

إنّ تقديم الاستفهام (الخبري) على المبتدأ هو نقل للمعالي (المبتدأ) من صفة تستدعي تعظيم من يملكها وتضعه في المقدّمة إلى صفة مسلوبة تنقل من سُلبت أو فُقدت من الابتداء إلى التّأخير ؛ أي تأخير الفاعليّة ، بل وعدمها تماماً ، وهذا ما تدعمه صيغة (المبني للمجهول) التي وقع فيها الفعل (عُرفت) في صيغة الماضي ، وعليه جمع الشّاعر في هذه الصّيغة دلالة انعدام الفاعليّة ؛ إذ لم يعد ثمّة من يعرف سيف الدّولة بالمعالي ، فضلاً عن كونها وبفضل الصّيغة الماضوية أصبحت صفة منقضية الفاعليّة ، منحصرة في الماضي ، فالمعالي التي وردت بالتّعريف ، ومن ثمّ توكيد التّعريف ونسبته عبر علاقة (الصّلة بالموصول) التي عُرّفت بها ، قوّت دلالة الذّمّ ، وأضحت حالة الانتقال الذي شهدته هذه المعالي من كونها صفة (سيف الدّولة) وسمته ، إلى كونها صفة فُقدت به ، ولا يفوت شاعرنا في هذا السّياق استغلال إمكانيّات اللّغة عندما يضع (سيف الدّولة) على المحكّ بوصفه لتلك المعالي بأنّها فعل ، وليسَت قولاً عندما يقول : (تقولها دائماً وتفعلها) فيجمع بين تحفيز وذمّ ؛ إذ إنّ السّؤال عن معالٍ كانت تُقال وتُفعَل ويُعرف بها إنّما يُشير إلى فقدانها ، فيتحوّل تقديم الاستفهام إلى أداة نفي تحمل مكنونات الغضب التي بثّها الشّاعر بأسلوب لغويّ بلاغيّ أزاح فيه الاستفهام من دلالات الاستفسار إلى دلالات تناسب سياق العتب واللوم .

وعليه ، فإنّ العدول التّركيبيّ الذي تبدّى ها هنا بتقديم اسم الاستفهام قد منح التّركيب الشّعريّ ازدواجيّة دلاليّة تناسب أسيراً فارساً ، عبر توتّر ضدّي يحدث بين قوّة ظاهرة تستدعيها

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، ص265 .

المعالي : الفِعال والأقوال الحميدة .

الفروسيّة ، وضعف باطن يستدعيه الأسر ، ويتصارع هذان المتضادان فينتصر أحدهما على الآخر حيناً ، وينهزم حيناً آخر في حالة شعوريّة يشوبها المدّ والجزر ، وتتنازعها دلالتان مزدوجتان ، كما تبعث برسالتين ذات دلالتين متضادتين لسيف الدّولة ، تظهره حيناً بأنّه الأمل بالتّخلّص من السّجن ، وتظهره حيناً آخر بمظهر المُقصّر المولّد لليأس بعد الأمل . إنّها حالة وجدانيّة لا تخلو من تعقيد يبيّنه صراع المتناقضات الذي تولّدت دلالاته عبر العدول التّركيبيّ المُتجسّد بالتّقديم والتّأخير .

وإذا كان تقديم الاستفهام (اسم الاستفهام) قد ولّد ما ولّده من دلالات متقابلة ، فإنّ أشكال التّقديم والتّأخير الأخرى في سياق بنية الإسناد الاسمي لا تقلّ أهمّيّة من حيث تفتيق الدّلالات ، ومنح البنية النَّصّيّة التي مُورست عليها علاقات العدول التّركيبيّ شعريّة خاصّة ، ومن أشكال هذا التّقديم والتّأخير تقديم المُسند إليه (الاسمي) على نحو قوله في إحدى قصائده[1] (من الطّويل) :

وَأَنْـــتَ الـــذِي عَرَّفْتَنِـــي طُـــرُقَ العُـــلا

وَأَنْـــتَ الـــذِي أَهْـــدَيْتَنِي كُـــلَّ مَقْصِـــدِ

وَأَنْـــتَ الـــذِي بَلَّغْتَنِـــي كُـــلّ رُتْبَـــةٍ

مَشَـــيْتُ إِلَيْهَـــا فَـــوْقَ أَعْنَـــاقِ حُسَّـــدِي

يُخفِّف الشّاعر في هذين البيتين من وطأة الصّراع النّفسيّ الذي يعيشه بين فروسيّته التي لم يكترث سيف الدّولة لوجودها في السّجن ، وبين ضعفه في الأسر ، ويحاول في هذا السّياق أن يخوض في طريق آخر يستغل فيه إمكانيّات اللّغة الشّعريّة عبر العلاقات النَّصّيّة، وفي مقدّمتها علاقة العدول التّركيبيّ التّقديم والتّأخير ، فيُقدّم المُسند إليه (الضّمير أنت) العائد إلى سيف الدّولة على نحوٍ مُكرَّرٍ ، مُخبراً عن هذا الضّمير بجُملٍ يُبرز فيها فاعليّة سيف الدّولة ومفعوليّته هو تُجاه هذه الفاعليّة ، وتقديم المُسند إليه (أنت / سيف الدّولة) يكتنز في الظّاهر دلالة التّعظيم ، وصبّ التّركيز على شخصيّة الممدوح (سيف الدّولة) ، ومن ثمّ فإنّ الإخبار عن فاعليّة هذا المُسند إليه (أنت / سيف الدّولة) بجُمل يُمثّل فيها الشّاعر بضمير المُتكلّم المُرتبط دلاليّاً بالمفعوليّة في قوله (عرفتني ، أهديتني ، بلغتني) يجعل الشّاعر مديناً لسيف

[1] ديوان أبي فراس الحمدانيّ ، ص98 .

الدّولة بكلّ ما أعطاه ، فهل كانت الغاية إبراز عظمة ما قدّمه سيف الدّولة للشّاعر ، أم أنّ ثمّة غاية دلاليّة تدعم الغاية السّطحيّة وتقويّها في سبيل إثارة البركان الانفعاليّ لدى سيف الدّولة وتحفيزه على مدّ يد العون للشّاعر وإنقاذه من الأسر ؟! .

إنّ الغاية الدّلاليّة الثانية التي دعمت عمليّة تعظيم سيف الدّولة تكمن في أنّ هذا التّقديم يضع سيف الدّولة على المحكّ ، فمن مارس العطاء ، ومنح الرّفعة والرّتبة لا يجدر به التّخلي ، فالتّعظيم ها هنا غايته التّحضيض وليس الاستعطاف ، ذلك أنّ الاستعطاف قد يُظهر ضعف الشّاعر الفارس وحاجته ، هذا ما أراد كتمه في روميّاته جميعها ، وإنْ ظهرت في أطواء تراكيبه الشّعريّة .

ومن الأشكال المهمّة للتّقديم والتّأخير (تقديم الخبر) بغية تشويق المُتلقّي لأصلٍ ، فالعدول ها هنا يصيب بنية الجملة الخبريّة التي كان أصلها القائم على ذكر المبتدأ يثير التّشويق للخبر ، فانعكس هذا الدّور بفضل العدول ، وانتقلت فاعليّة التّشويق من المبتدأ إلى الخبر .

يقول الخطيب القزوينيّ في باب تقديم الخبر ، مُبرزاً دور تقديمه في تشويق المُتلقّي " أمّا تقديمه فلكون ذكره أهمّ ، إمّا لأنّه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ، وإمّا ليتمكّن الخبر في ذهن السّامع ؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه " [1] .

ولقد قادتنا دراسة قصائد الأسر والسّجن في ديوان أبي فراس إلى ملاحظة شيوع هذا النّمط من التّقنيّة الأسلوبيّة على مساحة محدّدة من هذه القصائد .

يقول أبو فراس في إحدى قصائده يصف أسره ، ويذكر أهله ، ويتشوّق إلى أحبابه [2] (من مجزوء المتقارب) :

لأَيِّكُـــــــــمُ أَذْكُـــــــــرُ ؟ وَفِـــــي أَيُّكـــــمْ أَفْكِـــــرُ ؟

وَكَـــمْ لِـــي عَلَـــى بَلْـــدَتِي بُكَـــــــاءٌ ومُسْـــــــتَعْبَرُ ؟

---

[1] شروح التّلخيص في علوم البلاغة ، للإمام جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن القزويني ، شرحه وخرّج شواهده محمّد هاشم دويدري ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1402 هـ – 1982 م ، ص40–41 .

[2] ديوان أبي فراس الحمداني ، ص166–167 .

مُستعبر : محزون يذرف دموعه . أذخر : أخبّئ .

فَفِـــــي حَلَـــــبٍ عُـــــدَّتَي وَعِـــــــزّي وَالمَفْخَـــــــــرُ
وَفِـــي مَنْـــبَجٍ مَـــنْ رِضَـــا هُ أَنْفَـــسُ مَـــا أَذْخَـــرُ
بَلـــــى ، إِنَّ لِـــــي سَـــــيّداً مَواهِبُـــــــــهُ أَكْثَـــــــرُ
وَإِنّـــــي غَزِيْـــرُ الـــذّنوبِ وَإِحْسَـــــــانُهُ أَغْـــــزَرُ
ذُنُـــــوبِي بِهَـــــا كَثْـــــرَةٌ وَغُفْرَانُـــــــــهُ أَكْثَـــــــرُ
بِـــــــذَنْبِيَ أورَدْتَنِـــــــي ومِـــــنْ فَضْـــــلِكَ المَصْـــــدَرُ

يستثمر الشّاعر إمكانيّات العدول ودلالاته الشّعريّة في النّصّ للتّعبير عن حالةٍ شعوريّةٍ في غير موضعٍ من النّصّ، منها: (لي على بلدةٍ بكاء) ، (ففي حلبٍ عدّتي) ، (في منبجٍ أنفسي ما أذخرُ) ، (إنّ لي سيّداً) ... فتقديم الخبر (شبه الجملة) في الجُمل السّابقة (لي ، في حلب ، في منبجٍ) شكّل المُرتكز الذي بنى الشّاعر عليه الحدث الشّعريّ، كما أنّه شكّل بداية رسم معالم التّجربة الشّعوريّة، وفيض الشّوق الذي يعيشه الشّاعر ، وتلمح في هذه اللوحة ألواناً من الدّلالات يمكن تقسيمها إلى نوعين ، اللون الأوّل يوضح مكانة الأمكنة التي سبّب الأسر بعده عنها ، والتي كانت بالنّسبة له أمكنة ذات خصوصيّة محدّدةٍ ، والتّشويق الذي يحمله تقديم شبه الجملة (الخبر) المُرتبط بهذه الأمكنة (في حلب) ، (في منبج) ينطلق من جوهر خصوصيّة هذه الأمكنة ؛ إذ إنّ المُتلقّي ينتظر ويتشوّق لمعرفة ماذا يوجد في حلب وفي منبج ، فيأتي المبتدأ (عدّتي ، أنفس) فالعدّة تشمل دوائر القوّة ، وقد استمدّها الشّاعر من أهل حلب، وهـــــو الآن وبســـــبب الأســـــر يفتقـــــدها، وهـــــذه العـــــدّة (الشّعب الحلبيّ) الذي كان يمنح الشّاعر القوّة تقابلها نفوس سخيّة كريمة في منبج ، وبذا تكتمل ألوان المحبّة التي افتقدها الشّاعر بفقدانه ، هذان الأمران اللذان كانا محوري الوجود الوجدانيّ والاجتماعيّ والنّفسيّ للشّاعر ، وتشويق الشّاعر تُجاه ما يحمله المبتدأ المؤخّر من دلالات ترافق في إعلان شأن المُقدّم وجعله أيقونةً لفاعليّة المؤخّر .

وعليه ، أصبحت منبج أيقونة الارتياح النّفسيّ ، والملجأ الاجتماعيّ التي مُنحت للشّاعر بفضل نفاسة نفوسِ أهلها .

أمّا حالات التّقديم والتّأخير الأخرى فإنّها تعكس حالةً شعوريّة مكمّلة للحالة الشّعوريّة الأولى ، ولكنّها تتخصّص في سيف الدّولة ، وهنا نلمح أنّ الشّاعر يُقدّم ذاته في التّركيب (أنّ

لي سيّداً) ، على الرّغم من أنّه يختار لإبراز شخص سيف الدّولة كلمة (سيّد) ، وهنا نقرأ تفاخراً ضمنيّاً للشّاعر ، وتفضيلاً لنفسه على سيف الدّولة ، فالاختيار للفظ (سيّد) جاء بلفظ التّنكير ، وتقديم ضمير المُتكلّم في الخبر المُقدّم وتأخير اللفظ العائد إلى سيف الدّولة مع تنكيره يوحي بنسقٍ ظاهر هو التّبعيّة والولاء للسّيّد (سيف الدّولة) ، كما يُضمر نسقاً آخر هو الإعلاء من شأن الذات ، والتّقليل من شأن سيف الدّولة ، وإظهار الارتباط الذي تحوّل إلى قسري ، بعد عدم استجابة سيف الدّولة ومعه تحوّل السّيد من التّعريف إلى التّنكير .

إنّ التّقديم والتّأخير في هذا السّياق كان وسيلةً أسلوبيّةً ، أفاد الشّاعر من إمكاناتها النَّصّيّة لتقديم حالةٍ شعوريّة محدّدة المعالم ، ولتغليف ذمٍّ وتقريع لسيّدٍ (سيف الدّولة) ، كان بالنّسبة له الأمل الوحيد بالتّخلّص من حالة الأسر ، فأصبح مصدر اليأس الأوّل بعد التّخلّي المباشر عنه .

ومن هنا وجد شاعرنا ألاّ منقذ له في كربته وسجنه إلاّ بالله، فهو الذي يتكفّل بخلاصه ، وهو الذي يُشعره بوجوده وكيانه ، يقول الحمدانيّ [1] (من مجزوء الرّمل) :

أَنَـــا إِنْ عَلَّلْـــتُ نَفسِـــي بِطَبِيـــــــــبٍ أَوْ دَوَاءِ

عَـــــالِمٌ أَنْ لَـــــيْسَ إِلاَّ بِيَـــــدِ اللهِ شِـــــفَائِي

يستخدم الشّاعر التّقديم في هذا السّياق على نحوٍ مُخالفٍ لما ذكر سابقاً ، فتقديم الضّمير (الفاعل) على أداة الشّرط والفعل لم يُرد الشّاعر من خلاله ها هنا إبراز أهمّيّته وإفراد نفسه وتمييزها عمّا سواها ، بل أراد إطلاق العنان لها بعد أن وجدت وأدركت المُخلّص الحقيقيّ لها ، فالتّقديم اقترن بالشّرط ، وهذا الاقتران يُؤكّد ألاّ وجود للأنا الشّاعرة إلاّ بتحقّق الشّرط ، هذا الشّرط الذي بُني على نسقٍ نحويّ مُحدّد ، يبدأ بأداة الشّرط (إنْ) يليها فعل الشّرط في صيغته الماضويّة المُشيرة إلى قِدَم المعاناة ، وقِدم البحث عن مُعلِّلٍ ومواسٍ للأنا المُتمثّلة في الضّمير المُتكلّم (الياء) في الدّالّ (نفسي) ، ثمّ تأتي ماهيّة المُعلّل الذي يُنشده الشّاعر والمُتمثّل بالدّالين المُتعاطفين (طبيبٍ ، أو دواءٍ) في صيغة التّنكير لإطلاق الدّلالة والتّعميم ، فالمُعلَّل المنشود طبيب ، ومُخلّص عامّ ، ودواء شامل لكلّ ما تعنيه النّفس المنشود مواساتها وتعليلها ، ثمّ يأتي أسلوب القصر المقترن بالنّفي لتخصيص كلّ ذلك الحشد المُعمّم من سمات المُعلّل الطّبيب الدّواء في معرّفٍ مُحدّدٍ مُخصّصٍ قادر على جمع هذا الحشد من الإمكانيّات (الله) ،

[1] ديوان أبي فراس الحمدانيّ ، ص20 .

ولينفي عمّا سواه مهما بلغ قدره في إشارة ضمنيّة إلى سيف الدّولة القدرة على مواساته أو مساعدته ، أو معالجة ما يعتري نفسه من معاناة .

ويُؤدّي التّصوير البيانيّ دورهِ في تخصيص الدّلالة في التّعبير الاستعاري (يد الله) ، فالتّجسيد الحاصل ها هنا إنّما أُريد منه تخصيص الشّفاء العائد إلى الذّات الشّاعرة في الدّال (شفائي) ، المقترن بياء المُتكلّم لتشكيل الرّابط المباشر بين الله المُنقذ الوحيد والذّات الشّاعرة ، فكأنّ يد الله (الطّبيب الدّواء الوحيد) تمتدّ إلى الذّات الشّاعرة المريضة التي لم ولن ينفعها طبيب سواه ، فامتداد اليد وتجسيدها ، وتحقيق فاعليّتها (تحقيق جواب الشّرط) هو الوسيلة الوحيدة لبروز (الأنا) المُقدّمة في أوّل المقطع الشّعريّ ، فالأنا أخذت مكانها في السّاحة الدّلاليّة ضمن عمليّة التّقديم والتّأخير ، عندما أراد الشّاعر أن يعزلها عن كلّ ما نقلها إلى دائرة الخيبة ، وينقلها إلى دائرة الأمل بفعل وجود المنقذ (الله) .

ب- التّقديم والتّأخير في الجملة الفعليّة :

يرتبط التّقديم والتّأخير ارتباطاً وثيقاً بالنّحو "فالعلاقات النّحويّة كثيراً ما تُؤثّر في طبيعة التّقديم والتّأخير، وفي طبيعة ما ينتج عنها من إيحاءات ودلالات جديدة " [1]، وعليه فإنّ موقع الوحدة المعجميّة في الجملة محكوم بعلاقة نحويّة/دلاليّة تفرضها الوظيفة الإفهاميّة [2] للخطاب ، وأيّ تغيّر في موقعها سيُؤدّي إلى أحد أمرين : إمّا تعطيل الوظيفة الإفهاميّة ، وبالتّالي إلغاء مفهوم الخطاب وسيلة تواصل ، أو إنتاج دلالة جديدة تغني الدّلالة الأولى وتنوّعها ، وقد تتغيّر طبيعة الخطاب بهيمنة وظائف جديدة غير الوظيفة الإفهاميّة في مقدّمتها الوظيفة الشّعريّة ، ولعلّنا نستحضر هذا الفهم في هذا السّياق لتأكيد هذا التّنوّع الدّلاليّ والانتقال من وظيفة التّواصل والإفهام التي تتحكّم فيها بنية القلب (التّقديم والتّأخير) ؛ إذ إنّ الدّلالة النّاتجة في دائرة التّقديم والتّأخير على المستوى الفعلي ناتجة من طبيعة العلاقات النّحويّة المختلفة في كلّ شكل من أشكال الإسناد الاسميّ أو الفعليّ الخاضعَين للعدول في البنية الكلّيّة للخطاب .

---

[1] الانزياح في التّراث البلاغيّ والنّقديّ ، د. أحمد ويس ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2004 م ، ص173 .

[2] يُنظر : قضايا الشّعريّة، رومان ياكبسون، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1988، ص29 .

وهنا نقرأ بنية العدول التّركيبيّ الكامنة في التّقديم والتّأخير على مستوى الإسناد الفعليّ ، مُتتبّعين أنماط الدّلالات النّابعة عن هذا النّمط من العدول ، ودور هذه الدّلالات في تحقيق المنشود منها سواء على مستوى التّعبير عن الحالة الشّعوريّة والنّفسيّة من جهة ، ومستوى صناعة الوظيفة الشّعريّة للنّصّ المُتضمّن هذه الحالات من التّقديم والتّأخير ، ولا نكتفي في هذا السّياق بتتبّع مواطن هذه البنية العدوليّة منفردةً فحسب ، بل نبحث في تعالقاتها مع البنى الأخرى وارتباطاتها مع هذه البنى في خلق بنية شعريّة جديدة تلائم السّياق والمُقتضى المقامي المُتحكّم في البنية النّصّيّة .

يقول أبو فراس الحمداني [1] (من الطّويل) :

أَرَانِـــي وَقَـــومِي فَرَّقَتْنَـــا مَـــذَاهِبُ

وَإِنْ جَمَعَتْنَـــا فِـــي الأُصُـــولِ المَنَاسِـــبُ

فَأَقْصَـــــاهُمُ أَقْصَـــــاهُمُ مِـــــن

مَسَـــــــــــــــــــــــاءَتِي

وَأَقْـــرَبُهُمْ مِمَّـــا كَرِهْـــتُ الأَقَـــارِبُ

نَســـيبُكَ مَـــنْ نَاسَـــبْتَ بِـــالودِّ قَلْبَـــهُ

وَجَـــارُكَ مَـــنْ صَـــافَيْتُهُ لا المُصَـــاقِبُ

يبدأ الخرق المباشر للّغة منذ المطلع ؛ إذ نقف مباشرة على حالةٍ من العدول عن المعيار النّحويّ في البنية الإسناديّة الفعليّة في قول الشّاعر (فرّقتنا مذاهب) ؛ إذ يُقدّم المفعول به المُتمثّل بضمير الجماعة الدّالّ على المُتكلّم (نا) المُرتبط مباشرة بالفعل الماضويّ في دائرة تعبيره عن العمق السّحيق المُتحقّق لهذا الفراق على الفاعل (مذاهب) ، ويدخل المُركّب الذي خُرق معياره النّحويّ في دائرة البنية التّصويريّة ليحمل بذلك تأثيرين شعريّين أحدهما ناتج من العدول التّركيبيّ المُتحقّق في بنية التّقديم والتّأخير ، والآخر ناتج من البنية الاستعاريّة التي تشكّلت بها بنية التّقديم والتّأخير ، وما تملكه هذه البنية من مقدرة أسلوبيّة على عرض البنية الفكريّة المُتحقّقة وما تكتنزه من دلالات ظاهرة ومضمرة ، فالشّاعر إذ يُقدّم المفعول به (نا)

[1] ديوان أبي فراس الحمداني ، ص44-45 .

الدّالة على المُتكلّم يُحقّق عبر هذا الاختيار لرتبة المفعوليّة غاية دلاليّة ، تبرز واضحة في تصوير حالٍ مزريةٍ وصل الشّاعر إليها مع قومه ، فالفرقة باتت مسيطرة ، وباتت تحتلّ الميدان الفكريّ للشّاعر ، ولم يكن استخدامه ضمير الجماعة المُتكلّم وسيلة لإعلاء شأن هذه الشّجاعة ، بل على العكس تماماً أراد تصوير السّقوط الجماعيّ للمجتمع الذي كان يفخر يوماً بانتسابه إليه، وهو ها هنا قد وضّح موضعاً يظهر حقيقة علاقته به على نحو لم يعد يكترث فيه الشّاعر لسبب الفراق ، ومن هنا كان لتعريف المتفرّقين عبر الضّمير تحديد لهم ، وتعرية واضحة حملها هذا التّعريف .

وبالمقابل جعل سبب الفراق (مذاهب) نكرةً غير محدّدة في محاولة منه لتأكيد أنّ كشفه حقيقة قومه التي قادت إلى فرقته عنهم (في أسره) أكثر أهمّيّة وأكثر تأثيراً من السّبب الذي أدّى إلى هذا الفراق .

ولا يغادر الشّاعر في هذا السّياق نفَسَ الكبرياء والزّهوّ ، ومحاولة الظّهور بمظهر القويّ غير المُتأثّر ، هذا المظهر الذي يُخفي في أطوائه وتحت غبار كبريائه ضعفاً ، وهذا الزّهوّ والكبرياء نجده أيضاً في التّركيب الذي سبق التّركيب العدوليّ في قوله (أراني وقومي) ؛ إذ إنّ الشّاعر يخلق ثنائيّة ضدّيّة بين الفرد والجماعة ، ويضع نفسه مفرداً في مواجهة الجماعة ، ووضع النّفس على هذا النّحو إنّما أُريد منه إبراز القوّة والكبرياء تُجاه عمليّة الفراق ، فالشّاعر وإنْ كان يشير إلى الهوّة التي فرّقته عن قومه ، كان يضع نفسه المفردة في مواجهة الجماعة ، ونراه يُحمّل نفسه سمات القوّة في المواجهة وعدم الاكتراث إلى المواجِه (القوم) ، وهذه اللامبالاة التي خلقها الشّاعر عبر عمليّة التّقديم والتّأخير بغية إبراز القوّة والكبرياء يدعمها في حالة تقديم وتأخير ثانية في البيت ذاته ؛ إذ يُقدّم مرّة أخرى الضّمير الدّالّ على الجماعة الواقع في رتبة المفعوليّة المقترن بالفعل الماضي (جمع) على الفاعل (مناسب) ، فالفرقة التي تحقّقت جعلت الرّابط النّسبيّ الذي يجمع الشّاعر بقومه فاعلاً مؤخّراً ؛ أي غير ذي أهمّيّة ، وقد أتاح تقديم (نا) العائدة إليه في حضوره مع قومه أن يخلق حالةً ضدّيّة بين قديم وحديث ، ليظهر عمليّة الكشف التي أصابها في أسره ، والتي أوضحت له حقيقة الأمور ، هذا التّقابل بين ماضٍ بعيد ، كان فيه اجتماع القوم والشّاعر بعلاقة النّسب ، وماضٍ قريب تحقّق فيها الهوّة والانقطاع بين الشّاعر وقومه، ويلعب التّضاد المباشر بين لفظي (فرّق ، جمع) دور المحرِّك للفجوة التّوتّريّة بين الحالتين المذكورتين سابقاً ، فيستغلّ الشّاعر إمكانيّاتٍ متنوّعة في اتّجاهاتٍ ثلاثة: الاتّجاه الأوّل يكمن في عمليّة التّقديم والتّأخير في التّركيبين المتقابلين (فرقّتنا مذاهب) ،

(جمعتنا مناسب) ، فالمفعول المُقدّم الحاضر في كلا التّركيبين يعود إلى الشّاعر في اجتماعه مع قومه ، ولكنّه في الأولى يجتمع معهم على الفراق ، ممّا يُشير إلى أنّ هذا الفراق كان بإرادة الطّرفين ، وهنا محاولة جديدة للشّاعر لإبراز قوّة مواجهته ، عندما يُؤكّد أنّ فراقه عن قومه كان بإرادته ، فلم يكن الطّرف الضّعيف ، بل كان النِّدّ الذي فارق قبل أن يُفارق ، أمّا في التّركيب الثّاني فإنّه يجمع عبر ضمير المفعوليّة (نا) مع القوم على صلة النّسب المُؤخّرة ، واجتماعه بهم هنا إنّما أراد من خلاله الدّلالة على أنّ هذا الاجتماع فرضه النّسب ؛ إذ لم تعد تربطه بهم علاقات الودّ والحبّ وغيرها من علاقات إنسانيّة قوامها الاحترام المتبادل .

أمّا الاتّجاه الثّاني فيستغلّ فيه شاعرنا إمكانيّات التّضاد الذي ذكرناه بين (فرّق – جمع)، فالفرقة التي سبقت في التّركيب النّحويّ والتّشكيليّ للبيت الجمع كانت الطّرف الذي انتصر في علاقة التّضاد على الطّرف الثاني ، وشلّ حركته شلاً كاملاً ، وما تقديمه على الجمع إلاّ دليلاً نصّيّاً على ذلك ، في حين ترك الشّاعر في الاتّجاه الثّالث مهمّة دلاليّة يُؤدّيها التّصوير البيانيّ في التّركيبين ، فكلا التّركيبين يقوم على الاستعارة التي تعتمد تقنية التّشخيص والتي جعلت المذاهب والمناسب يمتلكان القدرة على التّحكّم بطرفي التّضاد (فرّق وجمع) ، بَيد أنّ الشّاعر أطفأ وهجها الدّلاليّ عندما قام بعمليّة تأخيرهما وتنكيرهما ، لتصبح ممارستهما الفعليّة على مستوى النّصّ في الدّرجة الثّانية من حيث الأهمّيّة بعد دلالة المُتضادين (فرّق ، جمع) .

إنّ هذه الاتّجاهات الثلاثة التي استغلّها الشّاعر على مستوى البناء النَّصّيّ الشّعريّ استطاع من خلالها أن يُحقّق غايات دلاليّة، أبرز فيها علاقته بقومه من موقع القوّة لا الضّعف، وعرّى زيف العلاقات القائمة على النّسب التي لم تحمل في أطوائها سوى خذلان الشّاعر ، الأمر الذي دفعه إلى الإعلان عن أنّ هذه العلاقة النّسبيّة ليست سوى تقسيمات وهميّة تبرز حقيقتها في المواقف .

لقد شكّل الشّاعر بوساطة التّقاطعات والعلاقات المتبادلة بين البنى التي مثّلت كلّ اتّجاه من الاتّجاهات الثلاثة بنية شعريّة واضحة المعالم ، كما في الشّكل الآتي :

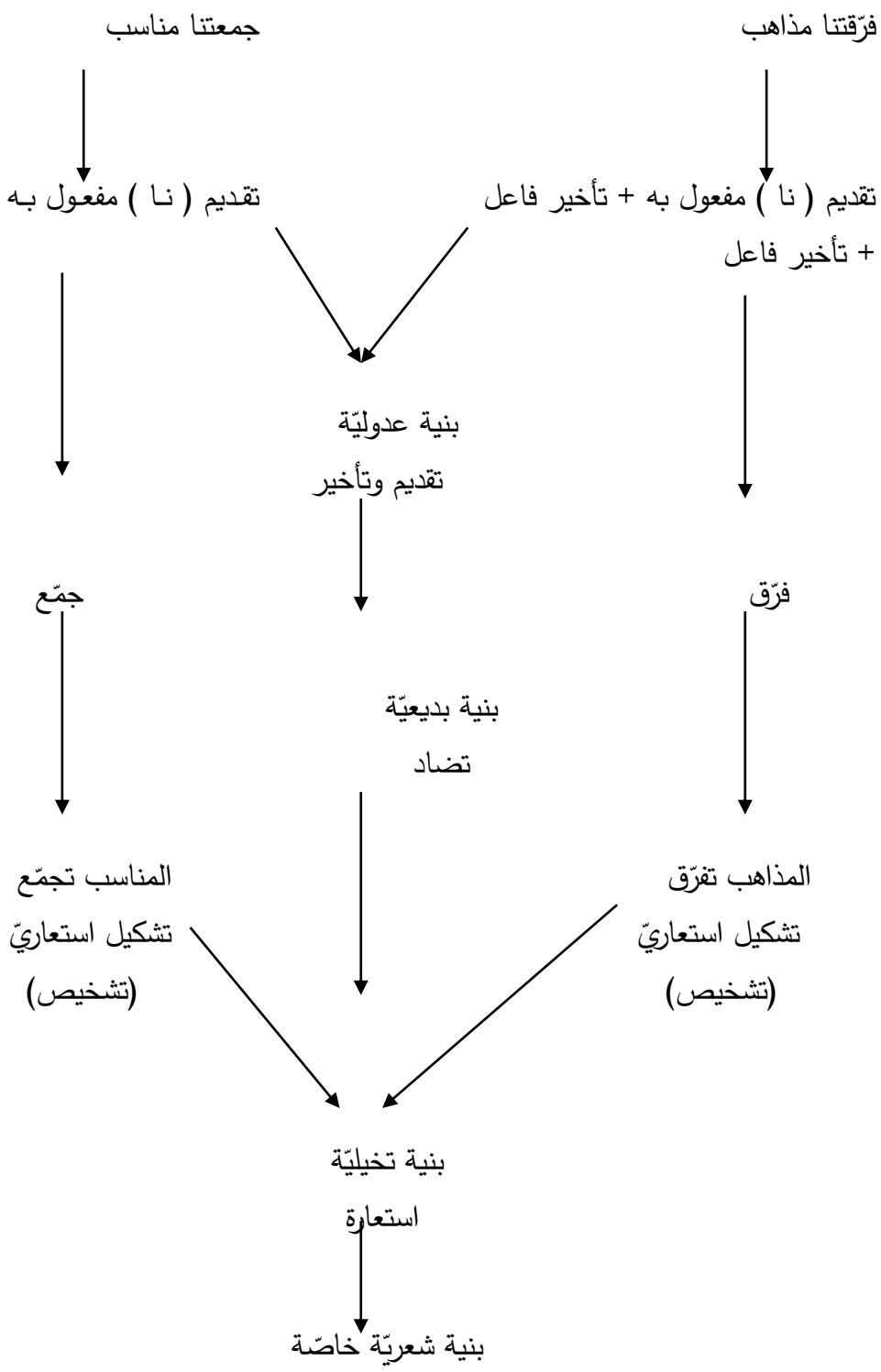
فرّقتنا مذاهب
جمعتنا مناسب
تقديم (نا) مفعول به + تأخير فاعل + تأخير فاعل
تقديم (نـا) مفعول بـه
بنية عدوليّة
تقديم وتأخير
فرّق
جمّع
بنية بديعيّة
تضاد
المذاهب تفرّق
تشكيل استعاريّ
(تشخيص)
المناسب تجمّع
تشكيل استعاريّ
(تشخيص)
بنية تخيليّة
استعارة
بنية شعريّة خاصّة

لقد خلق الشّاعر من بُنى التّقديم والتّأخير في البيت الأوّل بؤرة دلاليّة نصّيّة تلتقي عندها خيوط الدّلالة وتتقاطع على نحوٍ يجعل منها مصدر إشعاعٍ نصّيّ تصل إشعاعاته غير موضعٍ من النّصّ ، وتتأكّد دلالاته عبر تمظهراتٍ جديدة للتّقديم والتّأخير تؤكّد الدّلالات التي ذكرها الشّاعر سابقاً ، فالشّاعر الذي قطع الصّلة مع قومه، وعرّى حقيقتهم، وأثبت ألاّ رابط يجمعه بهم عبر التّقديم والتّأخير ، نراه يحاول في موضع آخر من النّصّ ، وبالتّقنية الأسلوبيّة ذاتها أن يثبت هذه الحقيقة التي وصل إليها ، فعندما يقول الشّاعر :

نَسِـــيْبُكَ مَـــنْ نَاسَـــبْتَ بِـــالودّ قَلبَـــهُ

وجَـــارُكَ مَـــن صَـــافَيْتُهُ لا المُصَـــاقِبُ

نجد أنّ الشّاعر يقدّم في التّركيب (ناسبت بالودّ قلبه) شبه الجملة (بالودّ) على المفعول به المُتلقّي لهذا الودّ (قلبه) المقترن بالهاء العائدة إلى مَن يطمح الشّاعر لتحديده وتعريفه (نسيبك) ، فالنّسيب الذي يعترف الشّاعر به ويتبنّى وجوده ليس ذاك الذي تجمعك به الأصول العائليّة ، بل هذا الذي بادلته (الودّ) وتقديم (الودّ) المحدّد بالتّعريف على المفعول به (قلبه) يؤكّد أنّ فلسفة الشّاعر في تحديد الرّابطة المجتمعيّة ، أو القبليّة ، أو الأسريّة تعتمد مبدأ (الودّ) ، ومن هنا فقد جعل جملة (ناسبت بالودّ قلبه) جملة الصّلة هي التّعريف للنّسيب الحقيقيّ ، ونلمح في استخدام الشّاعر للضّمير المُخاطَب (الكاف) في (نسيبك) بدلاً من الضّمير المُتكلّم محاولة لتعميم التّحديد وبثّه من جهة ، ونفي النّموذج السّابق الذي ابتعد الشّاعر عنه من جهة ثانية ، فالتّعريف ها هنا بات قاعدة أو حكمة خلص إليها الشّاعر من تجربته مع قومه، ودفعته لتعميم هذه القاعدة، وجعلها وجهة نظر عامّة ، وفي ذلك ذمّ مباشر لقوم الشّاعر ، فالنّسيب (القريب) الحقيقيّ الذي أثبت الشّاعر وجوده ينافي تماماً صورة النّسيب الذي قطع العلاقة به ، فهذا تجمعه به المحبّة (الودّ) أمّا ذاك فلا تجمعه به إلاّ أنساب عائليّة خالية من أيّ ملامح حبّ أو صلاتٍ إنسانيّة .

إنّ الشّاعر في هذا النّصّ اعتمد أساليب متنوّعة ، يحمل كلّ منها في أطوائه شعريّة جزئيّة تترابط مع الأساليب الأخرى لتكتمل بها الدّلالات الشّعريّة الأخرى ، وكان للتّقديم والتّأخير الحيّز الأوسع من الساحة التي تتقاطع فيها خيوط الدّلالة، وتتآزر الإيحاءات النّاتجة منها لتشكّل صورةً كلّيّة جعلت النّصّ كلّه حكمة في الحياة، فجّرتها تجارب واقعيّة حقيقيّة ، استطاع الشّاعر أن يُعبّر عنها بلغة بليغة مفعمة باستغلالٍ ثرّ لإمكانات النّصّ وبناه وظواهره الأسلوبيّة ، ولاسيّما التّقديم والتّأخير الذي كان ها هنا المحرّك الأساسيّ للدّلالة والمُعبّر الحقيقيّ عن شعريّتها.

خاتمة :

بعد هذه الدّراسة توصّل البحث إلى النّتائج الآتية :

1- لم ينحصر دور العدول بالتّقديم والتّأخير في إبراز العناية بالمُتقدّم ، بل يكمن في كونه إجراءً بنيويّاً اختياريّاً ينفتح على جملة من المعاني النّحويّة الدّقيقة .

2- مثّل التّقديم والتّأخير بنية فكريّةً قادرةً على احتواء عمق فكريّ من جهة، وتجربة شعوريّة من جهة أخرى .

3- منحت ظاهرة التّقديم والتّأخير الشّاعر مرونة لغويّة ، وهامشاً من الحرّيّة بتغيير ترتيب الكلام ، خدمت أبعاد نصّه الفكريّة والجماليّة .

4- كسر الشّاعر باعتماده أسلوب التّقديم والتّأخير العلاقة النّمطيّة بين المُسند والمُسند إليه في نصوصه .

5- سعى الشّاعر في استخدامه التّقديم والتّأخير في المركّب الاسميّ إلى تعميم تفوّقه على المُتأخّر ، وحضّ المُتأخّر على فدائه والعمل لفكّ أسره .

6- سعى الشّاعر في عدوله في المركّب الفعليّ إلى خلق بنية شعريّة جديدة تلائم السّياق والمقتضى المقاميّ المُتحكّم في البنية النّصّيّة .

ثبت المصادر والمراجع

1- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدّة .

2- الانزياح في التّراث البلاغيّ والنّقديّ، د. أحمد ويس، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق ، 2004 م .

3- بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، د. صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ع 164 ، أغسطس-آب ، 1992م .

4- البلاغة والأسلوبيّة، د. محمّد عبد المطلب، مكتبة لبنان – ناشرون ، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر ، لونجمان ، ط1 ، 1994 م .

5- تأصيل الأسلوبيّة في الموروث النّقدي والبلاغيّ، مصطفى حميدة، رسالة ماجستير ، فلسطين ، نابلس ، 2006م .

6- الخصائص ، ابن جنّي ، تح: محمّد علي النّجّار ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان.

7- دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، قرأه محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

8- ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح د. خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1414 هـ - 1994 م .

9- شروح التّلخيص في علوم البلاغة ، للإمام جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن القزويني ، شرحه وخرّج شواهده محمّد هاشم دويدري ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1402 هـ - 1982 م .

10- قضايا الشّعريّة، رومان ياكبسون، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1988 .

11- مفتاح العلوم ، السّكّاكي ، شرح نعيم الزّرزور ، بيروت ، 1983م .

12- نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثّاني والثّالث للهجرة، د. مصطفى جطل، مطبعة جامعة حلب ، 1980.

13- نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي ، د. تامر سلّوم ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، ط1 ، 1983م.

دراسة تأثير فرق الرنين في مجموعات الأصوات الساكنة الإنكليزية في دقة أداء متعلمي اللغة الإنكليزية السوريين لهذه التراكيب

الباحثة: لجين علوش المشرف: د. رياض طيفور
جامعة البعث، كلية الآداب، قسم اللغة الانكليزية

الملخص

يمكن لأي من فرقي الرنين ٢ و٣ أن يتواجد بين حرفين ساكنين يبتدئان مقطعا صوتيا واحدا في اللغة الإنكليزية، ويحمل إحداهما تعليما أكثر من الأخر، وهو بالتالي أكثر صعوبة منه. إلا أن هنالك نظريتان تختلفان في تحديد أيهما هو الأكثر تعليما.

إضافة إلى ذلك، فإن الأبحاث عن تأثير اللغة الأم في تيسير اكتساب المركبات المعلمة المتماثلة بينها وبين اللغة التي يتم تعلمها قد قدمت نتائج متناقضة. كان الهدف الأول لهذا البحث هو تقصي ما إذا كان المشتركون سيجدون إحدى فرقي الرنين أكثر صعوبة من الآخر، حيث أن كليهما يتواجدان في لغتهم الأم، مما يجعل النقل الإيجابي منها ممكنا.

أما الهدف الثاني، والذي اعتمد على إجابة نتيجة البحث للهدف الأول، فكان معرفة أي التركيبين المذكورين هو الأكثر تعليما.

وبالنسبة للنتائج، فقد وجد المشتركون السلسلة الابتدائية المكونة من حرف وقفي أو احتكاكي يليه حرف انحداري هي الأكثر صعوبة

الكلمات المفتاحية:

التعليم، الرنين، فرق الرنين، زيادة الوسط، التقاء الأصوات الساكنة، مبدأ الانتشار، بداية المقطع الصوتي المركبة

Investigating the Influence of the Sonority Distance between the Consonants in a Cluster on its Performance by Syrian Learners of English

Abstract

Either of the sonority distances 2 and 3 can be found in an English tautosyllabic initial cluster. One is marked and, therefore, more difficult than the other. However, two theories disagree on how they compare to each other in regard to markedness. In addition, there is contrasting evidence concerning whether positive transfer from the first language can facilitate the acquisition of marked clusters or not. The first goal was to find out whether Syrian learners would find both types of English onset equally easy as both are in their native language. The second, which depended on how the results would relate to the first, was to find out how marked the two English onset types are relative to each other. The participants in the current study found obstruent–glide clusters more difficult than obstruent–liquid ones.

Keywords:

Markedness, sonority, sonority distance, epenthesis, consonant cluster, dispersion principle, complex onset

1. Introduction

English is one of the most intimidating school subjects for learners. They struggle and spend a lot of time studying it, hence sounding like a native speaker continues to be impossible to achieve. They wonder, "How can native speakers speak so fast and accurately?" The answer is that they can because they learned their language during their early childhood.

According to Chomsky (1965), learning a primary language during early childhood is facilitated by a device in the brain called the Language Acquisition Device (henceforth, LAD). For this reason, toddlers never need to be taught grammar. The LAD receives input from natural speech, processes it, and derives grammatical rules on a subconscious level. On the other hand, adults and teenagers often internalize such rules, and they practice with lots and lots of exercises, yet they keep making errors. This is evidence that the psychological processes of learning and the mechanism responsible for it in adults are different from those in children.

The nature of that mechanism has been a major area of interest in the field of linguistics. Several theories have been proposed. Particularly important is Selinker's (1972) notion of interlanguages, which he defines as the linguistic systems of language learners that are reflected in their utterances when they attempt to speak in the target language. Linguists want to uncover the nature of interlanguages in order to find out what makes language learning

difficult and be able to predict where errors will frequently occur so that they can prevent them.

The first attempt to propose a theory that does that was the Contrastive Analysis Hypothesis (henceforth CAH) proposed by Lado (1957). Its name comes from its use of comparative analysis of the target and native languages to figure out which areas are likely to be difficult. It predicts that aspects of the target language that are similar to the native language's will be easy, while those that are different will be difficult.

However, empirical evidence frequently contradicted the CAH. This urged linguists to form other theories that were more accurate. One of the most influential of them was the Markedness Differential Hypothesis (henceforth MDH) proposed by Eckman (1977). Markedness is a concept that distinguishes related units of language based on the frequency of their cross-linguistic occurrence. The ones that occur more frequently across languages are unmarked, while those that occur less frequently are more marked. For example, voiceless sounds are unmarked and voiced sounds are marked; more languages have the first than the latter. In addition, marked units of language are more difficult to learn than the lesser marked ones. Thus, the voiced sound [v] is less marked than voiceless [f]. Finally, markedness relations are also implicational relations. This means that no language can contain something that is marked without also having all that is lesser marked, and we say that the first implies the latter.

The MDH states that not all areas of the target language (henceforth TL) that are different from the native language's (henceforth NL) will be difficult, only those that are more marked than their NL counterparts. It also states that the difference in markedness between the NL and TL areas determines the amount of difficulty. For instance, the longer a consonant cluster, the more marked it is, so learning biconsonantal clusters will be less difficult than learning triconsonantal ones which, in turn, will be more difficult than single consonants.

In some studies, nonetheless, participants made errors in parts of TL that were identical to those of NL. For example, Altenberng and Vago (1983) studied voice contrast in word-final obstruents by native Hungarian speakers learning English. Although both TL and NL have contrast in that position, the participants frequently devoiced obstruents therein. A similar result was obtained by Eckman (1981), who studied Farsi speakers' performance of the same target area, and despite the similarity of NL and TL, the participants devoiced final obstruents.

In the previous two studies, the area of the target language that the participants found difficult was marked, but it was present in both NL and TL. Therefore, the fact that it was relatively difficult blatantly contradicts with the MDH, which predicts difficulty only in areas of TL that are different from and more marked than those of NL. Therefore, a different theory is needed to explain the findings of these studies.

The Interstructural Language Conformity Hypothesis (henceforth, ISCH), introduced by Eckman et al. (1989), serves that purpose. It states that language universals that apply to primary languages apply to interlanguages, as well. Markedness is a language universal (Eckman, 1981). Therefore, it is sufficient to make predictions about difficulty; no other factor, such as NL transfer, is involved according to the ISCH.

However, Eckman (2008) provides three categories of empirical evidence that supports the MDH, and one of those also serves as evidence of NL interference. It is that when learners speaking different NLs are learning the same TL, the ones whose NL areas are closer in their level of markedness to the TL ones find these areas easier than the others do. Therefore, considering the conflicting evidence of the MDH and the ISCH, there is uncertainty regarding whether NL transfer affects learning.

2. Sonority

Sonority in phonetics means loudness of a speech sound. For example, voiceless stops are the least sonorant since they lack the voicing feature and are, therefore, not loud at all. However, in phonology, the loudness of a sound is irrelevant in this respect. In this field, it is where that sound usually occurs in syllables that is an important criterion when classifying sounds according to sonority. Certain patterns of syllables are universally preferred. For example, the phonemes [p], [t], and [k] occur more frequently in onsets than [m], which occurs more frequently in that position than

[l]. Furthermore, for sequences of consonants that belong to the same syllable, some arrangements are more common than others, depending on whether the consonants belong to an onset or a coda. For instance, /gl/ occurs more frequently than /lg/ in onset positions, and vice versa in codas.

To account for these phenomena, linguists assign sounds sonority values according to how frequently they appear in certain syllable positions. Those that are usually on the outer periphery of syllables are the least sonorant, while those that tend to be closer to the peak are more sonorant; the closer they are, the bigger their sonority value. Thus, sonority rises towards the peak then falls towards the coda. This is known as the Sonority Sequencing Principle (henceforth, SSP) (Clements, 1990).

Many scales ordering speech sound categories like obstruents and glides according to sonority have been proposed. Some are not very detailed, while others assign sounds belonging to the same category different sonority values, such as Selkrik's (1984) scale, which put /r/ in a higher rank than /l/ although both are liquids. However, one of the most important scales is Clements's (1990, p. 292):

O(bstruents) < N(asals) < L(iquids) < G(lides)

Scales are helpful in measuring sonority distance, which is the difference in sonority between sounds. For example, the difference between an obstruent and a nasal is one step on Clements's scale above. As linguists have observed, farther distances in

tautosyllabic consonant clusters are more cross-linguistically common than closer ones. Selkrik (1982) and Steriade (1982) use a Minimal Sonority Distance (henceforth MSD) parameter to formally account for that preference. Each language requires a minimum distance between tautosyllabic consonants. Spanish, for example, requires it to be 2. Therefore, its syllables can have obstruents followed by liquids, which are 2 steps higher on the scale, but not by nasals, which are only 1 step higher. We say that the MSD setting in Spanish is 2. There are 4 possible others. The least marked is 4. Languages with this setting allow only single-obstruent clusters. The most marked is 0, and it allows any combination.

On the other hand, Clements (1990) argues that the least marked initial demisyllable, which consists of an onset and a peak, has a maximal and even rise in sonority from the first to the latter, while the least marked final demisyllable has a minimal, uneven drop towards the coda. This implies that farther distances are preferred only in onsets, not in codas. Moreover, unlike the MSD, Clements takes into account the evenness of the rise or fall in sonority in addition to its sharpness. He uses the term dispersion; the less even and the less sharp a rise or fall is, the more dispersed. Moreover, dispersion has a value called d, which can be calculated. When an onset's dispersion is big in value, it is considered to be marked, and vice versa for codas. This is called the Dispersion Principle.

For certain onsets, the MSD and the Dispersion Principle make the same predictions. For example, according to both, obstruent-liquid onsets are less marked than obstruent-nasal ones. First, the theories above agree on the unmarkedness of farther distances, and the first one's distance is farther than the latter's. Second, the sonority rise in obstruent-liquid onsets is more even than the other's; the difference in sonority between an obstruent and a liquid is 2, which equals that between a liquid and a vowel. On the other hand, in obstruent-nasal onsets, sonority first rises one step towards the nasal and then three towards the peak.

However, the two predictions of the theories for obstruent-glide onsets are different. According to the MSD, since they have the farthest distance of all clusters, they are the least marked and will be the least difficult to learn. On the other hand, according to the Dispersion Principle, obstruent-glide clusters are more marked than obstruent-liquid clusters because their sonority rise is less even.

Empirical evidence for both views does exist. Broselow and Finer (1991) studied onset production by Japanese and Korean English learners in order to test the predictions of the MSD parameter. They also aimed to find out if markedness varied between fricative-initial onsets and stop-initial ones and between onsets beginning with voiced sounds and those beginning with voiceless ones. The reason was that some scales assign sounds carrying the features [+continuant] and [+voiced] higher sonority ranks than

their counterparts that lack them. The results were as follows: error rates were higher in stop–liquid and stop–glide clusters than fricative–liquid and fricative–glide ones. They were also higher in clusters beginning with voiced obstruents than the ones beginning with voiceless ones. The researchers claim this supports the MSD.

However, Eckman and Iverson (1993) argue that these results can be explained independently from sonority using typological markedness, which means implicational relationships between language units, alongside Clements's (1990, p. 313) Sequential Markedness Principle, which states, "For any two segments A and B and any given context X–Z, if A is simpler than B, then XAY is simpler than XBY." Simpler means less marked. These explain Broselow and Finer's results without resorting to sonority because fricatives are typologically marked compared to stops. Therefore, any sound sequence containing a fricative is more marked than another that has a stop instead according to Clements's principle above. The same logic applies to the voice/voiceless distinction, with the former being the marked one.

In addition, Eckman and Iverson (1993) conducted a study on learners whose native languages were the same as Broselow and Finer's participants. They used natural conversation to collect the data. This led to different clusters being produced in different amounts. Therefore, instead of comparing numbers of errors, they set a criterion to determine whether a participant had acquired a cluster, which was an 80% accuracy rate, in order to see whether

the marked clusters always implied the unmarked ones in the interlanguages of the participants. The results conformed to typological markedness and the Sequential Markedness Principle. However, some of the participants reached the criterion for obstruent-liquid clusters but not for obstruent-glide ones. This contradicts the MSD; the former's distance is smaller than the latter's. Moreover, this cannot be explained by typological markedness; there is no implicational relationship between liquids and glides. However, Clements's Dispersion Principle makes the correct prediction in this case, and Eckman and Iverson use it to account for the results.

Hancin-Bhatt and Bhatt (1997) also tried to test the MSD's predictions. They included Spanish participants because Spanish has all biconsonantal onsets except obstruent-glide ones. They argued that this would allow markedness and transfer interaction, if any, to manifest more clearly than it could in the previous studies, in which the participants' NLs, Japanese and Korean, allowed no clusters. They also included Japanese ones as the previous two studies did so that they could compare the latter with their own.

The Japanese performed similarly in all the cluster types included, and the conclusion was that they had mastered all of them. On the other hand, their Spanish participants made more errors in fricative-initial onsets than stop-initial ones, which conforms to the MSD. However, they made most errors in obstruent-glide onsets.

Hancin-Bhatt and Bhatt explain this with NL transfer as Spanish lacks the latter clusters.

In the studies mentioned so far, the error rates of obstruent-glide clusters were not consistent. Moreover, wherever the results supported the MSD, alternative explanations were also plausible. First, Broselow and Finer (1991) report that the fewest errors in their study occur in these clusters and argue that this supports the MSD. However, it is not certain that obstruent-glide sequences are represented as consonant clusters on the structural level in the NLs of their participants, Korean and Japanese. Many linguists argue that in these languages, glides that are preceded by consonants are best analyzed as the first parts of complex syllable peaks. This implies that the low error rate of obstruent-glide onsets might have resulted from their not being actual clusters. Second, Eckman and Iverson's (1993) results for these onsets were the opposite; they supported the Dispersion Principle and contradicted the MSD. Third, Hancin-Bhatt and Bhatt's (1997) results were similar to the second in that obstruent-glide onsets were most difficult, but they explain that with NL transfer's overriding the MSD's effect claiming that their study does not overall contradict this parameter. However, it is also logical to use the Dispersion Principle to account for the same thing. In other words, it is not clear whether their study supports the MSD while showing some interaction with NL transfer, or contradicts it and supports the latter principle as well as typological markedness.

In contrast, the native language of the participants of the current study is Syrian Arabic, which, unlike Spanish, allows all biconsonantal onsets. This makes it possible to compare the predictions of two pairs of theories without ambiguity. The first pair is the MDH and ISCH and the second is the MSD and the Dispersion Principle. First, if the error rate in obstruent-glide onsets is relatively high despite their presence in NL, this cannot be explained with first language interference but only with the Dispersion Principle. That is, the cause will be clearer than it was in the latter study. Second, there are two possibilities regarding how the performances of the marked and unmarked clusters will compare to each other as they are found in both English and Syrian but one is universally more difficult than the other. The first possibility is that the performance of all clusters will be on a similar level due to positive transfer. This will support the MDH but contradict the ISCH, which predicts that markedness will cause difficulty in interlanguages the same way it does in primary languages. The other possibility is that the participants will find marked clusters more difficult than the less marked ones. This will support the ISCH but contradict the MDH.

3. Objectives of the study

The first objective of this study is to see whether similarity between NL and TL will facilitate learning marked clusters as implied by the MDH or be overridden by markedness as the ISCH predicts. The second is to find out how the error rate of obstruent-glide onset

production will compare to that of obstruent-liquid ones. If it is higher, it will be due to the unevenness of the former's sonority rise, and this will support the Dispersion Principle. If it is lower because of their farther sonority distance, this will support the MSD. Finally, it aims to make teachers and curriculum designers aware of sonority and markedness effects so that they adjust curricula and teaching methods accordingly.

4. Research Hypotheses

Hypothesis (1): Even if all TL's onsets are found in NL, the marked onsets will be more difficult than the unmarked ones because according to the ISCH, universals of primary languages similarly apply to interlanguages.

Hypothesis (2): obstruent-glide onsets will be more difficult than obstruent-liquid ones as predicted by the Dispersion Principle, whose empirical support has been stronger than the MSD's.

5. Research questions

In order to achieve the objectives of the study, the following questions are addressed:

1. "Do Syrian learners of English, whose NL has all biconsonantal onsets, make more errors in marked onsets than in unmarked ones?"
2. "Do they find stop-glide onsets more difficult than stop-liquid ones or easier than them?"

6. Methodology

The methodology of the study includes the participants, instruments and procedure:

6.1. Participants

The participants were twenty students of English at Al-Baath University. Eleven of them were third-year students, and nine were fourth-year students. They were chosen because of their advanced level of education, which implies they have enriched their vocabulary enough to recognize most of the words in the test, preventing their erroneously guessing the pronunciation of an unfamiliar word from its written form.

6.2. Instruments

The instrument of the study was a reading test. The participants were handed copies of a list of twenty-seven sentences. These sentences contained monosyllabic words that began with biconsonantal onsets. Both of the sonority distances permitted in English, two and three, were included. Thus, the onsets consisted of either an obstruent and a liquid or an obstruent and a glide; fifteen were of the first type, and eight were of the second. Distance was measured by Clements's following scale:

O(bstruents) < N(asals) < L(iquids) < G(lides).

Regarding place and manner of articulation, the clusters included as many combinations as possible so that no single repeated pattern would cause difficulty that is unrelated to sonority and may affect the results.

6.3. Procedure

The participants were tested in the language laboratory at Al-Baath University because it is soundproof. They were not told the purpose of the study because their knowledge of it would affect their performance.

First, they were handed the copies, and then the sentences were read to them as they followed in order to familiarize them with the relevant words and decrease the likelihood of errors occurring due to wrongly guessing pronunciation from spelling. After that, they were asked if there was any unfamiliar word that they would like to be read again. Finally, they read and were recorded individually.

6.4. Data Analysis procedure

Only the words beginning with two-consonant clusters were transcribed, and each participant's pronunciations were put in their own table. Then the mispronounced words were marked with asterisks. After that, the transcriptions were revised at least four times.

Next, the productions of each distance were calculated. Since fifteen words had distance-two onsets and twenty participants read them, there were three hundred productions of distance two. A similar calculation yields the number of productions of distance three, which was 160. The percentage of errors in each distance was calculated by dividing the number of all its productions by the number of the erroneous ones.

In addition, a repeated-measures ANOVA test was carried out to find out the significance level of the results, which was the

likelihood that they occurred by chance. First, a series of calculations were done, which yielded a number called the F statistic. This number expresses how the variance in error rates between the two independent variables, distance two and distance three, compares to the error rate variance within each one. Therefore, if the difference between the distances' error percentages is big compared to the difference between the participants' error percentages within each distance, the F statistic will be a big number. Moreover, the bigger F is, the more significant the results and less likely to have been obtained by chance. The significance level was calculated using software. Finally, the percentages of the error types in each distance were calculated.

7. Results

The participants were at an advanced level of education, so they pronounced most of the clusters correctly. 93% of the distance-two productions and 83.13% of the distance-three ones were accurate. Therefore, the distance-three onsets, which consist of an obstruent and a glide, were more difficult for the participants than the others. Table 1 and figure 1 demonstrate the difference in error rates between the distances:

	Distance 2	Distance 3
Percentage of errors	83.13%	93%

Table 1. Error percentages of the total productions of each distance.

They show that most errors occurred in distance 3 by a significant margin. In fact, the significance level of the results was very high (p= 0.003).

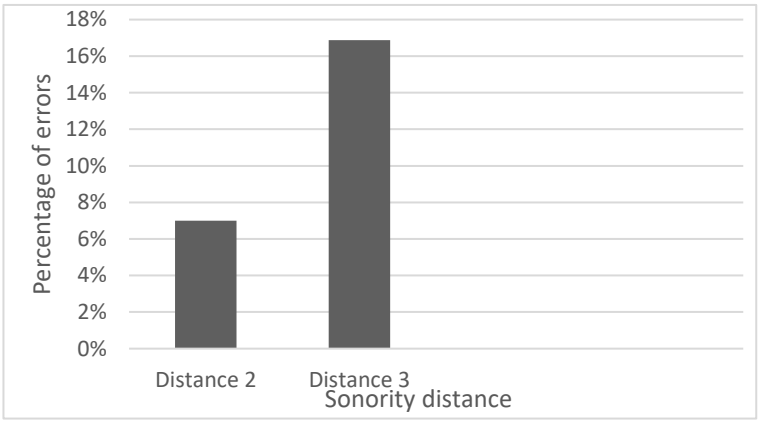

Figure 1. Error percentages of the total productions of each distance.

7.1. Error types

7.1.1. Distance three

There were three types of error in this distance: voicing, deletion, and epenthesis. The proportion of each was as shown in table 2:

	Vowel epenthesis	deletion	devoicing
Percentage of error type	22.22%	70.37%	7.4%

Table 2. Percentage of each error type in distance 3.

Figure 2. Percentage of each error type in distance 3.

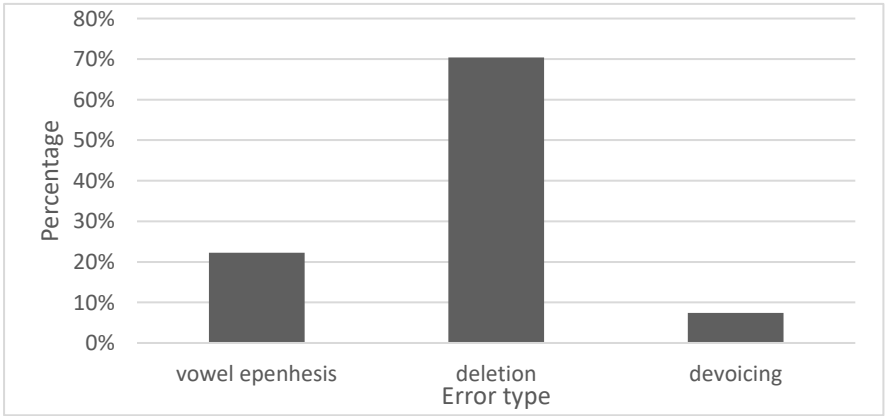

As shown in table 2 and figure 2, deletion was the most frequent. A distance-three onset consists of an obstruent followed by a glide, so there were two ways to simplify it by deletion: deleting the obstruent or the glide. The choice was always the second, however. This resulted in obstruent-vowel demisyllables, which were more cross linguistically common and less marked than glide-vowel ones, which would have resulted from the alternative choice. In other words, participants not only modified the marked demisyllables but also produced the least marked output possible, the one that had the sharpest rise in sonority.

Vowel epenthesis means adding a vowel. The participants employing this strategy inserted one between the two consonants of some onsets, transforming CCV demisyllables into CVCV ones. For example, some pronounced [dwel] as [dɪwel], and others as [dʊwel]. Each created two demisyllables that began with single consonants, which were simpler than clusters.

Two participants devoiced *b* in *beautiful*. This conforms to typological markedness as voiceless sounds are less marked than their voiced counterparts.

7.1.2. Distance two

Two types of error occurred in this distance: change of voicing and deletion. Table 3 and figure 3 demonstrate the difference in frequency between them:

	Deletion	Change in voicing
Percentage of error type	20%	80%

Table 3. Percentage of each error type in distance 2.

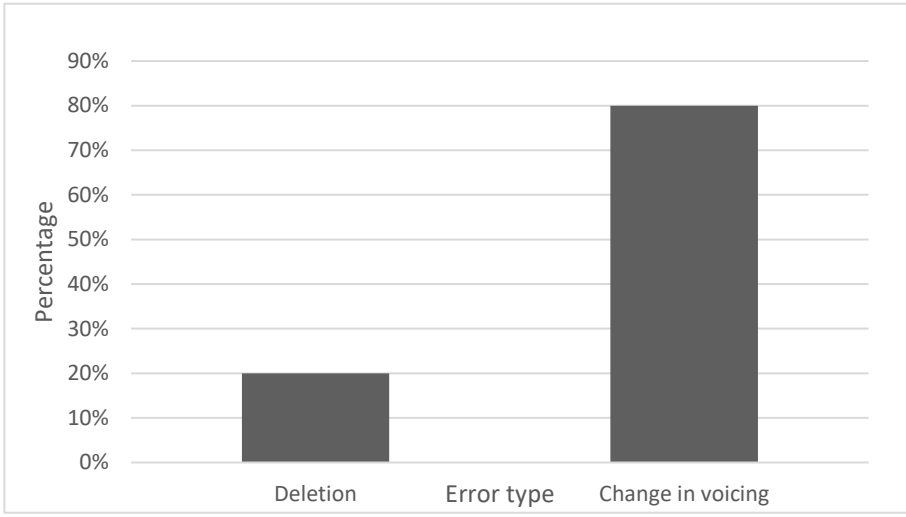

Figure 3. Percentage of each error type in distance 2.

As seen from the figure above, change in voicing was the most frequent. All but one participant making this type of error voiced [p]. This contradicts not only the MSD but also typological markedness as voiceless sounds are less marked than voiced ones. However, Syrian Arabic has [b] but not [p]. Therefore, replacing the latter with the former can be attributed to NL transfer. Moreover, all but one of the participants who voiced [p] when it was a part of a cluster did the same when it was a single consonant. The one that did not enunciated the test words carefully.

The deletion in this distance invariably targeted the glide. This produced the least marked demisyllable possible as the sonority

rise from a nasal to a vowel is sharper than that from a glide to a vowel.

8. Discussion

The results support the ISCH as the participants found universally marked onsets more difficult than unmarked ones. They also contradict the MDH because the latter states that only the marked areas that are different across NL and TL will be difficult yet the clusters associated with the highest error rate were found in NL.

Moreover, obstruent-glide onsets have a farther sonority distance than obstruent-liquid ones, yet they were more difficult for the participants. This contradicts the MSD, which states that smaller distances are more marked than farther ones. On the other hand, this supports the Dispersion Principle. As mentioned, sonority in an obstruent-glide demisyllable, which consists of a distance-three cluster and a vowel, does not rise evenly from the first segment to the peak. Thus, the dispersion value in this type of demisyllable is bigger than an obstruent-liquid one's, in which the sonority rise from the obstruent to the liquid equals that from the latter to the vowel. According to the Dispersion Principle, the more dispersion there is in initial demisyllables, the more marked they are. Therefore, obstruent-glide demisyllables are more marked than obstruent-liquid ones.

The results here are similar to Eckman and Iverson's (1993), some of whose participants had mastered obstruent-liquid onsets but not obstruent-glide ones. However, they contradict Broselow and

Finer's (1991), whose participants made more errors in /br/ onsets than /bj/ ones. Therefore, obstruent-glide sequences are most likely not consonant clusters in Korean and Japanese, which are the NLs of the latter study's participants, who transferred this structural representation to TL, facilitating their acquisition of obstruent-glide English clusters.

The current results were also similar to Bhatt and Hancin-Bhatt's (1997), in particular, the part that cannot be explained by typological markedness. As mentioned, their Spanish participants made the most errors in obstruent-glide onsets. Since these onsets are the only biconsonantal ones that Spanish does not have, the latter results can be explained by NL transfer; another way to explain them is the Dispersion Principle. The current study, on the other hand, was conducted on Syrian EFL learners, and their NL permits all clusters. Therefore, the Dispersion Principle is the only way to account for the current results.

9. Conclusion

1. For advanced learners, the ISCH makes more accurate predictions than the MDH. In other words, areas of similarity between NL and TL will not be easy unless they are unmarked.
2. Obstruent-glide onsets are more difficult than obstruent-liquid ones. Therefore, the Dispersion Principle is more accurate than the MSD; the evenness of a sonority rise is a factor that determines its markedness.

10. Pedagogical implications

1. Errors are inevitable, and reading about markedness will make teachers more patient with students because it will help them realize that.
2. The system of grading should place more value on participation in classes than accuracy.
3. Curricula should provide plenty of opportunities to practice marked clusters within enjoyable activities.

11. Recommendations for further research

1. If possible, researchers should conduct studies that include more participants than this one did because larger scale studies are less likely to produce results by chance.
2. The current study was conducted on advanced participants. However, NL transfer may play a greater role in the other levels of acquisition. Thus, it is necessary to conduct another study on beginner and intermediate learners to see if the results will be similar.
3. Universal sonority preferences for onsets are not the same for codas; a sharp, even rise is unmarked in the former but marked in the latter. Therefore, linguists are urged to study Syrian learners' production of different sonority distances in codas.

References

- Altenberg, E., & Vago, R. (1983). Theoretical implications of an error analysis of second language phonology production. *Language Learning, 33*, 427-447.
- Broselow, E., & Finer, D. (1991). Parameter setting in second language phonology and syntax. *Second Language Research, 7,* 35-59.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of the theory of syntax*. Cambridge: MIT Press.
- Clements, G. N. (1990). The role of the sonority cycle in core syllabification. In J. Kingston & M. Beckman (Eds.), *Papers in laboratory phonology.* Cambridge: Cambridge University Press.
- Eckman, F. R. (1977). Markedness and the contrastive analysis hypothesis. *Language Learning, 27,* 315-330.
- Eckman, F. R. (1981). On predicting phonological difficulty in second language acquisition. *Studies in Second Language Acquisition, 4,* 18-30.
- Eckman, F. R. (2008). Typological markedness and second language phonology. In J. G. Hansen Edwards & M. L. Zampini (Eds.), *Phonology and second language acquisition* (vol. 36, pp. 95–116). Philadelphia: John Benjamins B. V.
- Eckman, F. R., Moravcsik, E. A., & Wirth, J. R. (1989). Implicational universals and interrogative structures in the

interlanguage of ESL learners. *Language Learning, 39,* 173–205.

- Eckman, F. R., & Iverson, G. K. (1993). Sonority and markedness among onset clusters in the interlanguage of ESL learners. *Second Language Research, 9,* 234–252.
- Hancin-Bhatt, B., & Bhatt, R. M. (1997). Optimal L2 syllables: Interactions of transfer and developmental effects. *Studies in Second Language Acquisition, 19,* 331–378.
- Selinker, L. (1972). Interlanguage. *International Review of Applied Linguistics, 10,* 209-231.
- Selkirk, E. (1982). The syllable. In H. van der Hulst & N. Smith (Eds.), *The structure of phonological representation.* Dordrecht: Foris.
- Selkirk, E. (1984). On the major class features and syllable theory. In M. Aranoff & R. Oehrle (Eds.), *Language sound structure: Studies in phonology / presented to Morris Halle by his teacher and students.* Cambridge: MIT Press.
- Steriade, D. (1982). *Greek prosodies and the nature of syllabification* [Unpublished doctoral dissertation]. Massachusetts Institute of Technology.